الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلم

جامعة ابن خلدون . تيارت .

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في "تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر"

موسومة بـ:

التواصل الثقافي بين المغرب الأقصى والمشرق في عصر الدولة العلوية

منذ قيامها إلى عهد المولى عبد الرحمان بن هشام

(1076_1275هـ / 1666_1859م)

إعداد الطالبتين:

- حبشي ايمان
- خيران بدرة

بإشراف الدكتورة:

لزغم فوزية

أعضاء لجنة المناقشة:

أ- بكاري عبد القادر	رئيسا
د- لزغم فوزية	مشرف و مقرر
د- بن صحراوي كمال	مناقشا

السنة الجامعية: 1437 -1438هـ/2016-2017م

شكر وعرفان

الحمد لله على النعمة التي لا تحصى، والشكر له على منه بأن يسر لنا هذه الدارسة فله الحمد في الأولى والآخرة، وله الحمد حتى يرضى، وله الحمد والشكر بعد الرضا

وإذ كان شكر المتفضل المنعم واجبا، فالشكر الناس من شكر الله، لذا فإننا نعيد الفضل إلى أهله، فنتقدم بالشكر الجزيل والخالص إلى الأستاذة الدكتورة "**لزغم فوزية**" لقبولها الإشراف على هذه المذكرة، وعلى تقديمها الإعانة والمساعدة والتوجيهات القيمة والنصائح الرشيدة التي كانت من لحواف المشجعة لإتمام هذه المذكرة.

ولا ننسى أن نشكر كل من أمد لنا يد المساعدة من قريب أو بعيد، أو أمد لنا النصيحة أو أعطانا كتاب، أو حتى شجعنا بكلمة، ونخص بالذكر الأساتذة الذين درسونا طيلة خمسة سنوات، ولا ننسى شكر اللجنة المناقشة لهذه المذكرة

الإهداء.

إلى نذر عمره فى أداء رسالة صنعها من أوراق الصبر وطرزها فى ظلام الدهر على سراج الأمل، بلا فتور أو كلل رسالة تعلم العطاء كيف يكون العطاء، وتعلم الوفاء كيف يكون الوفاء، إليك أبى أهدى هذا العمل.

إلى التى حملتنى وهنا على وهن، وقاست وتألمت لألمى، إلى من رعتنى بعطفها وحنانها وسمعت طرب الليل من أجلى، إلى أول كلمة نطقت بها شفتاى أمى الحبيبة.

إلى أمى الثانية التى أضاءت طريقى بدعائها

إلى إخوتى وأسرتى الكريمة عادل، فاطمة، إبراهيم، بدرة

إلى كل من حمل اسم حبشى وعلايلى

إلى كل من علمنى حرفا، إلى كل أساتذتى من الطور الابتدائى إلى الجامعى

إلى صديقتى ورفيقة دربى وأختى التى لم تلدها أمى بدرة

إلى صديقى العزيز أمين

إلى رقية أختى

إلى رفاق المشوار، إلى من أفتخر برفقتهم بلقاسم، جمال، فرحات، هود، عبد القادر، خالد،

إيمان

الإهداء

إلى من علمني النجاح والصبر، إلى من أفتقده في مواجهة الصعاب ولم تمهله الدنيا لأرتوي من حنانه، أبي اللهم أنزل على قبره الضياء والنور وجازيه بالإحسان إحسانا، وبالسيئات مغفرة والرضوان.

إلى من أفنت حياتها وغمرتنا بحبها وحنانها، إلى من تسهر لسهرنا، إلى من سكنت جوفها وحجرها حولين، أمي أطال الله في عمرها.

إلى أخي وسندي بعد أبي أحمد، وميهوب عبد الباقي

إلى روح المرحوم "وناس عبد القادر".

إلى أمي الثانية أنار الله دربها نورة

إلى أختي مروى

إلى أخواتي وأزواجهن وأبنائهن هديل وعبد القادر.

إلى كل من يحمل لقب خيران وزينة.

إلى أختي التي لم تلدها أمي وصديقتي التي شاركتني هذا العمل إيمان

إلى من كانوا يضيؤن لي الطريق ويساندونني في هذا العمل الأصدقاء جمال هود عبد القادر، بلقاسم، فرحات، وخالد.

وإلى كل زملاء الدفعة.

بدرة

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات:

هـ	هجري
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	جزء
مج	مجلد
ص	صفحة
ص ـ ص	صفحات متلاحقة
م	ميلادي
تع	تعليق
ط	طبعة

مقدمة

مقدمة

يعتبر المغرب الأقصى جزءا من العالم العربي الإسلامي، ومنذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بوصول الفاتحين العرب وتوالي الفتوحات الإسلامية توطدت الروابط التاريخية والحضارية فتأسست العلاقة بين الفضائين حيث نجح الدين الإسلامي في جعل المغرب والمشرق منطقة حضارية واحدة، ولم تنقطع العلاقات والصلات بين المشرق والمغرب الأقصى منذ قرون بعيدة ، ثم أخذت تتجذر عبر الفترات اللاحقة بفعل الهجرة المتبادلة والرحلات، وعلى اثر ذلك التفاعل انتقلت من وإلى المغرب تيارات فكرية وعلوم وأفكار ومذاهب عقائدية وفقهية وثقافية، فمثل المشرق مرجعية دينية حضارية بالنسبة للمغارة منذ فجر الدعوة الإسلامية.

وفي مجال العلاقات بين القطرين فإن دراسة موضوع "التواصل الثقافي بين المغرب الأقصى والمشرق في عصر الدولة العلوية منذ قيامها إلى عهد المولى عبد الرحمن بن هشام (1076- 1275هـ/ 1666 . 1859م)" يمثل امتدادا لتلك العلاقات التي جمعت المشرق بالمغرب منذ القديم وتواصلت مع الدين الإسلامي إلى الفترة الحديثة.

وفيما يتعلق بالإطار الزماني لهذا البحث، اخترنا النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي كبداية، والذي يوافق فترة قيام الدولة العلوية ويشكل نقطة تحول في تاريخ المغرب الحديث، حيث دخل الغرب مرحلة من الاستقرار النسبي، وتحول سياسي عميق بدء على عهد المولى محمد بن الشريف (ت 1075هـ) بعد مرحلة من الصراع على السلطة بين أطراف عديدة، تقاسمت خريطة البلاد وجعلت حيزه الجغرافي إطار تتصارع داخله زعامات، وإلى غاية تاريخ وفاة المولى عبد الرحمان بن هشام وما يوافق هذا التاريخ من تطورات في العلاقات الدولية والتحركات الأوروبية الاستعمارية وما ترتب عنه من حركات تحديثية وإصلاحية عرفها العالم الإسلامي وارتكاز زمن بحثنا على هذه المدة الطويلة مكننا من ملامسة عناصر الاستمرارية والقطيعة في تاريخ العلاقات المغربية المشرقية وما واكبها من تطورات في العلاقات الثقافية.

أما الإطار المكاني فيمتد على فضاء جغرافي واسع يشمل جهتين اثنتين من العالم الإسلامي، تتمثل الأولى في المغرب الأقصى، أما الجهة الثانية متمثلة في المشرق ومكوناته الجغرافية من مصر

والحجاز وبلاد الشام والدولة العثمانية، وهي أقاليم كبرى ارتبطت بالمغرب الأقصى منذ الحضارات القديمة وشكلت جميعا مظاهر جديدة للتلاقح الحضاري في ظل العالم الإسلامي.

فإذا كانت بلاد المغرب الأقصى تعتبر جزءاً من العالم الإسلامي عرفت وصول وانتشار الإسلام مبكرا فهل يعكس لنا هذا الانتماء وجود تفاعل فكري بين المشرق الإسلامي والمغرب الأقصى في الفترة الحديثة؟ وما هي انعكاساته على الجانبين؟ وهل حافظ المشرق في الفترة الحديثة على مكانته كمرجعية دينية فكرية بالنسبة للمغاربة؟ وما مدى التأثير المتبادل بين المشرق والمغرب الأقصى من الجانب الثقافي؟ وما أبرز أشكاله؟

تتجلى أهمية وقيمة هذا الموضوع في جوانب مختلفة، منها البعد الحضاري للعلاقات والصلات بين المشرق والمغرب الأقصى منذ قرون بعيدة حيث جمعت الطرفان الحضارة الإسلامية وظل المشرق يمثل المرجعية الدينية والفكرية لأهل المغرب، إضافة إلى العلاقات الدينية التي عززتها أركاب الحج المغربية التي لم تتوقف عن أداء مناسك الحج وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم على امتداد التاريخ الإسلامي، وتبادل الخبرات والتجارب في الجانب العلمي ومجال الدراسة، فكان المشرق هو الصوت والمغرب هو الصدى.

ويمكن إرجاع أسباب اختيار الموضوع إلى مجموعة من العوامل أهمها قيمة الموضوع في حد ذاتها، وتركيز الدراسات في معظمها على العلاقات الدبلوماسية والسياسية على حد علمنا، وقلتها في الجانب الثقافي رغم أهميته في توطيد الروابط بين الطرفين، إضافة إلى الارتباط الروحي لبلاد المغرب بالمشرق بحكم الارتباط الديني، والتعلق الكبير للمغاربة بدينهم الإسلامي، بالإضافة إلى تركيز الدارسات على علاقات المغرب الخارجية بأوروبا أو بقية أقطار المغرب الإسلامي وحصرها في هذا المجال وعدم التركيز على رابطة المغرب الأقصى بالبلاد العربية إسلامية.

وبالنسبة للمنهج المتبع لإعداد بحثنا هو المنهج التاريخي السردي التحليلي، فالسردي لسرد الأحداث والحقائق التاريخية وفق تسلسلها الزمني، والتحليلي من خلال تحليلنا للوقائع التي استطعنا من خلالها استنباط أنماط التواصل وأشكاله.

وقبل أن يخرج البحث بالصورة التي هو عليها اعترضنا بعض العوائق والتي تمثلت أساسا في قلة المادة العلمية حيث أن الدراسات التي اهتمت بالجانب الثقافي من العلاقات المغربية المشرقية كانت على حد علمنا قليلة، إضافة إلى اقتصار هذه الدراسات إن وجدت على أقطار معينة في المشرق كمصر والحجاز وعدم التطرق لدراسة العلاقات الثقافية للمغرب مع بلاد الشام والدولة العثمانية، كما تعذر علينا الحصول على بعض المراجع خاصة المتوفرة في القطر المغربي فقط.

ولإنجاز هذا البحث اعتمدنا على مجموعة من الصادر والمراجع، ومن أهم هذه المصادر كتب الرحلات التي شكلت مادة رئيسية للبحث، خاصة وأن الموروث الفكري المغربي نجده قد تميز بهذا النوع من التأليف، خاصة الرحلات إلى الحجاز، ويبقى المتن الرحلي المرتبط بزمن بحثنا فارضا نفسه بحكم القيمة العلمية لأصاحبها نذكر منها:

- **الرحلة العياشية "ماء الموائد"** لأبي سالم العياشي (ت 1090 هـ/ 1679م) وتعد هذه الرحلة الثالثة له، حيث كانت الأولى سنة (1059هـ/ 1648م)، و الثانية كانت سنة (1064هـ/ 1653م)، أما الثالثة والتي تعد رحلته من أهم الرحلات الحجازية كانت سنة (1072هـ/ 1662م)، اعتبرت نموذجا وشكلت هذه الرحلة مصدرا لبحثنا تتبعنا من خلاله مظاهر التواصل بين المؤلف مع أعلام المشرق، حيث يعتبر العياشي من أكثر العلماء الذين رحلوا للحجاز اهتماما بالعلم ومجالسة أهله والأخذ عنهم، مجسدا بذلك صور التواصل المغربي المشرقي، الأمر الذي أفادنا كثيرا في إعداد بحثنا . مهما

- **"الرحلة الناصرية"** لأبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي (ت 1192هـ/1778م)، له أربع رحلات إلى المشرق/ الأولى كانت صحبة والده، والثانية بعدها بعام سنة 1096هـ/ 1684م، وله فيها

تأليف لرحلة صغيرة، والثالثة عام 1121هـ/ 1709م وله فيا رحلة كبيرة، ولم تنل هذه الرحلات شهرة، غير أن الأخيرة التي كانت سنة 1181هـ/1709م كانت أكثرهم شهرة، وقد اعتمد كثيرا في كتابتها على رحلة شيخه أبي سالم العياشي السالفة الذكر، أستندنا علي هذه الرحلة كثيرا في التعرف على النشاط العلمي للشيخ أحمد الناصري خلال رحلته، والتعرف على إجازاته من طرف علماء المشرق.

- "**الرحلة الحجازية**" للعلامة ابن أحمد بن عبد الله الجازولي الحضيكي السوسي (1189هـ/ 1775م)، له رحلة حجازية سنة (1152هـ/ 1740م)، إلا أن الحضيكي في رحلته أهمل الحديث عن لقائه بالعلماء، واعتنى بتقديم الكثير من المعلومات الجغرافية والتاريخية للأماكن التي زارها، والارتسامات الاجتماعية، وأورد القليل من المظاهر التي جسدت التواصل الفكري بين المغرب والمشرق.

- "**الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا**" لأبو القاسم الزياني (ت 1249هـ/1833م)، له رحلتان حجازيتان إحداهما سنة 1208هـ/1794م، والثانية سنة 1226هـ/ 1811م وقد جمع المؤلف في تأليفه الحديث عن الرحلتين معا، وقد قصد الزياني الحجاز عن طريق اسطنبول عندما كان سفيرا بها، جسدت الرحلة التواصل الثقافي من خلال رصد الزياني لحركة نقل الكتب.

ومن المصادر التي استقينا منها المعلومات الفهارس والتراجم التي كان لها دور مهم في الترجمة للعلماء، والتعريف بهم، وبداياته العلمية بالتلقي ثم اغترابهم لتلقي العلوم، والتعريف بالشيوخ الذين انتفعوا منهم في مختلف العلوم، وذكر ما تحصلوا عليه من إجازات نذكر منها:

- "**معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب**" لعبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي (ت 1383هـ/1964م)، الذي استقينا منه في تراجم العلماء وشيوخ المغرب الذين قصدوا المشرق وتلقوا عن شيوخه

- "**نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**" لأبي عبد الله محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري (ت 1110هـ/1698م)، أمدنا هذا المؤلف بمعلومات عن علماء المغرب خلال القرن الحادي

عشر للهجرة، وما تميز به القادري هو تعرضه لسير العلماء بشيء من التفصيل مركزا على حياتهم العلمية، وهذا خدم موضوع بحثنا بصورة جيدة .

- **"اتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء"** و**"اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر للقرن 11هـ/17م"** للعياشي، تضمن هذا المؤلف نصوص الإجازات التي أجيز بها العياشي في رحلته الثالثة إلى المشرق، كما قدم صورة حقيقة لواقع الثقافة في العالم الإسلامي في القرن الحادي عشر هجري، السابع عشر ميلادي، أما المصدر الثاني فهو عبارة عن فهرس كتبه أبو سالم سنة 1068هـ/ 1657م، ليجيز به بعض تلامذته، والفهرس عبارة عن كتاب يذكر فيه المؤلف مختلف المعلومات المتعلقة بحياته الدراسية، ويتتبع فيه أسانيد شيوخه في كل العلوم والكتب التي يرويها عنهم بتسلسل، ساعدنا في التعرف على حياة المؤلف العلمية وشيوخه المشارقة، كما أفادنا كثير في التعرف على تلامذة العياشي الذين سيكون لهم الدور العلمي الكبير مستقبلا. وهو ما جسد التواصل الثقافي بصورة كبيرة.

- **"عجائب الآثار في التراجم والأخبار"** لعبد الرحمن الحسن الجبرتي (1237هـ/ 1822م) يعد هذا المصدر موسوعة تاريخية أرخ فيها لتاريخ مصر، ووقف على أخبار علمائها، وقام الجبرتي بالترجمة لأعلام مصر في المائة عام السابقة لعصره منه العلماء المغاربة المجاورين بمصر، وهذا ما خدم موضوع بحثنا كثيرا كما أفادنا في الترجمة لعلماء المشرق الذين ربطتهم علاقات علمية بالمغاربة.

أما النوع الثالث من المصادر المعتمدة هي الكتب التاريخية التي وفرت مادة علمية ارتبطت بمجال البحث وزمانه، والتي لم تقتصر على مجرد أحداث بل كانت توضح طرق الاتصال بين المشرق والمغرب، وتسلط الضوء على بعض التراجم لشخصيات كانت فاعلة في التواصل بين المغرب والمشرق أهمها :

- **"الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى"** لأبي العباس احمد بن خالد الناصري (ت 1315هـ/1898م)، ورد هذا الكتاب في عدة أجزاء، ويعتبر من أهم الكتب التاريخية الخاصة بالمغرب الأقصى تميز بوفرة المعلومات التي غطت جل المراحل السياسية التي مرت بها دول المغرب الأقصى، ويركز على المعلومات العامة المتداولة، لم يقتصر هذا المصدر على الجانب السياسي فقط بل تناول

مختلف الجوانب منها الثقافية، ساعدنا في التعرف على الأرضية السياسية الخاصة بالفترة، إضافة إلى الترجمة لسلاطين الدولة العلوية والتعرف على اسهاماتهم في مختلف المجالات بما فيها الجانب الثقافي.

- **"التاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)"** لمؤلفه محمد بن عبد السلام الرباطي الضعيف، الذي أفادنا في التعرف على المراحل السياسية التي مرت بها الدولة العلوية منذ نشأتها إلى أواخر عهد مولاي سليمان.

- **"البستان الظريف في أخبار دولة أولاد مولانا الشريف"** بن علي الزياني أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم، يروي الكتاب أخبار الدولة العلوية من أولاد الشريف بن علي (ت 1096هـ/)، مما أفادنا في تتبع الحياة السياسية للمغرب في هذه الفترة.

أما بالنسبة للمراجع التي أفادتنا أبرزها

– **"موسوعة أعلام المغرب"** لمحمد حجي تشتمل هذه السلسلة على تسعة أجزاء، وما يخدم فترة بحثنا هي الجزء الرابع الذي يؤرخ من عام 1051. 1100هـ "، والجزء الخامس الذي يؤرخ لأعلام الفترة الممتدة من عام 1101. 1150هـ واعتمد المؤرخ في هذين الجزأين على "نشر المثاني لأخبار القرن الحادي والثاني" للقادري، و"تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين "، استفدنا من هذه السلسلة بشكل كبير في التعرف على أعيان وعلماء المغرب، وحياتهم العلمية، ودراستهم بالمشرق.

– **"فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات" لعبد الحي الكتاني،** يعد هذا الكتاب موسوعة في التعريف بشيوخ الفترة الحديثة المغاربة، خدم هذا المؤلف التواصل من خلال العلماء الذين توجهوا للمشرق بغرض الدراسة والمجاورة.

– **"فهارس علماء المغرب منذ النشأة حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري"** لعبد الله الترغي المرابط، الذي استفدنا منه هو الآخر في الترجمة لعلماء المغرب والتعرف على من رحل منهم إلى المشرق.

كما لجأنا لعض الدراسات التاريخي كمؤلف التيارات السياسة والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية لحركات إبراهيم الذي أفادنا في التعرف على مختلف التيارات المؤثر في بناء المشهد

السياسي والفكري في المغرب الأقصى، واكتفى مؤلف الكتاب بذكر إشارات عن التيارات الثقافية الواردة من المشرق.

كما أفادنا كتاب المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية لآسيا الهاشمي البلغيثي الذي أفادنا في تتبع اهتمامات السلاطين المغاربة بالحركة الفكرية، وعلاقاتهم الثقافية مع المشرق.

أما في الجانب المشرقي فاعتمدنا على كتاب **"المغاربة في مصر في العصر العثماني"**، لعبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الذي تناول دور المغاربة في مصر بما فيهم العلماء من خلال وثائق المحاكم الشرعية، مكننا هذا الكتاب من والإحاطة بالعلاقات الثقافية التي جمعت مصر بالمغرب الأقصى.

كما استقينا من كتاب **"المغاربة بالمدينة المنورة"** لمحمد علي فهيم بيومي مادة علمية ساعدتنا في الإحاطة بجوانب العلاقات الثقافية المغربية الحجازية، والتعرف على الدور الثقافي لعلماء المغرب بالحرمين الشريفين.

وكانت خطتنا في إنجاز هذا البحث كالتالي:

الفصل الأول تحت عنوان "الأوضاع السياسية والثقافية بالمغرب الأقصى والمشرق خلال الفترة الحديثة" يندرج تحته ثلاثة مباحث تناولنا في الأول منها التطور السياسي للمغرب الأقصى على عهد الدولة العلوية حيث كان لزاما علينا التطرق للأرضية السياسية للمغرب نظرا لتأثير الجانب السياسي على الحركة الفكرية، أما المبحث الثاني فكان بعنوان "الحياة الثقافية للمغرب الأقصى" تناولنا فيه الحركة الفكرية والتعليم بالمغرب الأقصى، وإسهامات السلاطين العلويين في الحركة الثقافية، أما المبحث الثالث فخصصناه للمشرق، وكان بعنوان "الحياة السياسية والثقافية بالمشرق خلال الفترة الحديثة" تناولنا فيه الظروف السياسية بالمشرق والحياة الثقافية مركزين على مصر والحجاز التي تمثل أهم أقطاب التواصل مع المغرب.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان "الحج ودوره في تعزيز التواصل الثقافي بين المغرب الأقصى والمشرق"، تضمن هو الآخر بدوره ثلاثة مباحث، الأول بعنوان المجالسات العلمية بين علماء المغرب الأقصى والمشرق" تناولنا في احتكاك العلماء المغاربة بالمشارقة ومظاهر ذلك من قراءة وإقراء، والمبحث الثاني جاء بعنوان الإجازة شكل من أشكال التواصل الفكري" تطرقنا فيه إلى الإجازات المتبادلة بين علماء القطرين، المبحث الثالث فكان تحت عنوان "المناظرات والقصائد الشعرية المتبادلة ودورها في تحقيق التواصل" تطرقنا فيه إلى المناظرات التي شارك فيها علماء المغرب بالمشرق، والعلاقات الأخوية التي جسدتها القصائد المتبادلة.

أما الفصل الثالث كان بعنوان "التبادل الثقافي بين المغرب والمشرق ومظاهره" احتوى بدوره على ثلاثة مباحث الأول بعنوان "العلماء المغاربة المجاورين ودورهم في الحياة الثقافية بالمشرق" تطرقنا فيه إلى الدور الثقافي الذي لعبه العلماء المغاربة بالمشرق ومكانتهم، أما المبحث الثاني الذي كان بعنوان "الحكومة المغربية وعلاقاتها الثقافية بالمشرق" تطرقنا فيه إلى إسهامات السلاطين العلويين في توطيد العلاقات الثقافية مع المشرق، وكان البحث الثالث بعنوان "الحركة الوهابية وتأثيرها الديني الثقافي بالمغرب" تطرقنا فيه إلى وصول الوهابية للمغرب وتأثيرها.

وأنهينا بحثنا بخاتمة تضمن أهم النتائج التي توصلنا إليها من موضوع العلاقات الثقافية بين المغرب الأقصى والمشرق من النصف الثاني من القرن السابع عشر إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر.

الفصل الأول

الأوضاع السياسية والثقافية بالمغرب الأقصى والمشرق خلال الفترة

المبحث الأول: التطور السياسي للمغرب الأقصى منذ قيام الدولة العلوية إلى نهاية عهد المولى عبد الرحمن بن هشام.

المبحث الثاني: الحركة العلمية بالمغرب الأقصى منذ بداية العهد العلوي إلى منتصف القرن التاسع عشر.

المبحث الثالث: الحياة السياسية والثقافية بالمشرق العربي الإسلامي خلال الفترة الحديثة.

ظهرت بالمغرب الأقصى مع مطلع القرن الحادي عشر الهجري (ق 17م) بعد وفاة المنصور السعدي، زعامات دينية وسياسية متصارعة فيما بينها، مما أدى إلى تدهور الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية في البلاد، بحيث لم تستطع أي قوة أن توحد المغرب وتصل إلى السلطة، وكان من بين القوة المتصارعة العلويين الذين عرفوا بالسلجلماسيين، وكانوا أصحاب نفوذ بتافيلالت[1] التي تمر بها أهم طرق التجارة الصحراوية، وكان العلويين أصحاب سلطة دينية وسياسية نشأت منذ بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر ميلادي، وحاولت القضاء على القوى المحلية الصوفية المحيطة بها، كما رفعوا لواء الجهاد للدفاع عن البلاد من الأخطار الخارجية، وتمكن العلويين من الوصول إلى حكم المغرب والقضاء على القوى المنافسة بعد مبايعة المولى محمد بن الشريف العلوي على أمر الجهاد سنة 1041هـ/1632م.

أما بلاد المشرق الإسلامي فقد كانت تحت حكم الدولة العثمانية وذلك منذ أوائل القرن السادس عشر، وكان العثمانيون يتركون شؤون الحكم الداخلي في بعض الولايات المشرقية لأصحاب القبليات والعصبيات الإقليمية، كأمراء المماليك في مصر، وزعماء العشائر البدوية في العراق والحجاز، ويكتفي السلطان بتعيين والي له يمثله في هذه الأقاليم، ومما فتح المجال لحدوث الفتن والاضطرابات في أنحاء مختلفة، نتيجة انتهاز بعض الحكام أو أصحاب العصبيات الإقليمية فرصة اضطراب الأحوال الداخلية للدولة العثمانية، والقيام بمحاولات الاستقلال ببعض أقاليم الدولة، وكان نتيجة لهذه التغيرات والاضطرابات في الأحوال السياسية انعكاسات على مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وبالأخص الثقافية.

[1] تافيلالت : هي منطقة صحراوية تقع جنوب المغرب، كانت تمثل صلة وصل بين مختلف المراكز التجارية والعلمية، وهي مهد ومنطلق الدولة العلوية. لحسن تاوشيخت، ينظر: الحركة العلمية والثقافية بتافيلالت خلال عهد الدولة العلوية (القرنين 18، 19)، ضمن ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، المملكة المغربية: منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، ص:15.

المبحث الأول: التطور السياسي للمغرب الأقصى منذ قيام الدولة لعلوية إلى نهاية عهد المولى عبد الرحمان بن هشام:

يرجع نسب العلويين إلى سلالة علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1]، والأشراف العلويين هم أبناء عمومة الأدارسة يلتقون معهم في عبد الله الكامل بن حسن المثني التابعي، ولم يكونوا يعرفون قبل تأسيس الملك بهذا الاسم، إنما عرفوا بالحسنيين، نسبة إلى حسن السبط ابن علي وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما، وأول من قدم من العراق من أبناء هذه الأسرة إلى المغرب هو الحسن بن قاسم الذي يعتبر الجد الأكبر للعلويين بالمغرب في حوالي سنة 674 هـ ، والذي استوطن سلجلماسة[2] بالجنوب المغربي، ليحظى النسب الشريف بكثير من الاحترام والتبجيل. فتكاثر نسل العلويين بالمغرب وانتشر الأبناء والأحفاد[3].

1. قيام الدولة العلوية مع المولى محمد وأخيه الرشيد:

تمكن العلويين كقوة سياسية من القضاء على منافسيهم وإعادة توحيد البلاد، وكان أول من ادعى الأحقية بتولي أمر العلويين بالمغرب محمد بن علي الشريف السلجلماسي، الذي بايعه أهل تافيلالت على أمر الجهاد بينما كانت واحاتهم مطمع الدلائيين [4]والسملاليين[5]، وكان المغرب مقسما بين الدلائيين الذين استولوا على فاس والوسط بعد ضعف حكم السعديين، وأبي حسون السملالي أمير بلاد السوس الذي كان يحكم منطقة سوس والأطلس الكبير، والحضر غيلان الذي كان في

---

[1] عبد الفتاح الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، القاهرة، مكتبة مدبولي، (د ط)، 1994م، ج3، ص: 352.

[2] هي مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان كانت موطنا للعلويين، ينظر: أحمد بن أبي يعقوب اسحاق، البلدان، بيروت (لبنان): دار الكتب العلمية، ص198.

[3] عبد الكريم الفيلالي، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، القاهرة، مطبعة شركة ناس للطباعة، ط1، 2006م، ج 4، ص:55.

[4] ينتسب الدلائيون إلى قبيلة مجاط إحدى فروع صنهاجة التي هي جذم من البرانس الذين يرجع إليهم مع البتر جميع أنساب البربر، وهم من قبيلة لمتونة الصنهاجية التي كانت تسكن بأقصى الصحراء المغربية، ينظر: محمد حجي الزاوية الدلائية، المرجع السابق، ص: 29.

[5] عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص: 352.

الشمال مع بقايا السعديين في مراكش وضواحيها[1]، وأدى الصراع بين هذه الأطراف لوقوع حروب انتهت باستيلاء العلويين على درعة وأحوازها، وكان لهذا الانتصار سببا في التفاف أهل هذه النواحي حول العلويين، مما شجع المولى محمد بن علي الشريف إلى محاولة توسيع نفوذه على باقي أجزاء المغرب، لكنه اصطدم بمختلف القوات السياسية والدينية الأخرى[2].

وبعد وفاة علي الشريف سنة 1070 هـ/ 1659م، بويع ابنه الأكبر محمد للمرة الثانية، غير أن أخاه الرشيد خرج عن بيعته، واستولى على فاس واستغل ما بها من أموال لتكوين جيشه، ودخل بعدها في صراع مع أخيه على الحكم، ودارت بينهما معركة انتهت بقتل محمد في التاسع من محرم سنة 1075 هـ/1664م [3]، وبويع الرشيد أحد أبناء الشريف سنة 1664 م بعدها وتقدم بجيشه إلى تازة فدخلها، ومنها إلى سلجلماسة ثم فاس التي حاصرها سنة 1076 هـ/ 1666م، وبعدها كانت وجهته إلى زاوية الدلائيين التي هدمها، ودخل بعدها مراكش سنة 1081هـ/ 1671م، وكان هدفه التالي القضاء على السملاليين فتوجه إلى بلاد السوس، وبذلك تحقق جزء من الوحدة السياسية للمغرب في عهد هذا المولى، وتوفي المولى الرشيد سنة 1082هـ /1672م[4].

---

[1] محمد الصغير الأفراني، روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل الشريف، تج : عبد الوهاب بن منصور. الرباط: المطبعة الملكية، (ط2)، 1995م، ص: 46

[2] دحام الحاج و بن شهرة زهرة، العلاقات السياسية بين الجزائر والدولة العلوية بالمغرب الأقصى (1061 . 1246 هـ/ 1650 . 1830م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة تيارت، 2015 . 2016م، ص : 64.

[3] أبو العباس احمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى . الدولة العلوية، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء (المغرب) : دار الكتاب، 1997م، ج7، ص: 31.

[4] محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي، تج: عبد اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء (المغرب): مطبعة النجاح الجديدة، (ط1)، 1998م، ص:426.

2. المولى إسماعيل واستكمال بناء الدولة العلوية.

بعد وفاة الرشيد تولي أخوه إسماعيل بن علي الشريف 1082هـ/ 1672م، ثالث سلاطين الدولة وأكثرهم شهرة، وعرف بنخوته وشهامته وقوة إرادته، بويع من طرف أهل مكناس وعلمائها[1]، واجه في بداية حكمه ثورات كثيرة مع ابن أخيه احمد بن محرز[2]، وبعد صراع معه تمكن المولى من قتله في التاسع من ذي القعدة 1096هـ/ 1685م[3].

وبسبب هذه الصراعات عزم المولى على تكوين جيش قوي وفعلا تم ذلك، فأسس جيش يتكون من فرق أهمها فرقة عبيد البخاري المكونة من أبناء العبيد الذين جلبهم السلطان أحمد المنصور السعدي أيام حكمه، وتختلف الروايات المرتبطة بالطريقة التي جمع بها العبيد من السود من قبل السلطان إسماعيل، وشكل بهم فرقة هي أساس جيشه وأقوى الفرق ثم عززها بجمع العبيد المتفرقين في البلاد، ونظم حملة لجلب العبيد من تمبكتو ليشكل منها فيالق، أطلق عليها هذا الاسم نسبة ليمين الطاعة الذي كان يؤديه الجيش على صحيح الإمام البخاري، [4]إضافة إلى بقايا الجيش الذي تركه أخوه الرشيد المتكون أساسا من أبناء قبائل الشراقة وهوارة ومديونة وبني سوس من البربر، وأولاد جامع و الشجعوبني عامر وغيرهم[5]، وجرد غيرهم من القبائل من الأسلحة، واهتم هذا السلطان بالجانب الاقتصادي فعمل على تأمين طرق المواصلات والقوافل التجارية[6]، وكان يطوف في مملكته على رأس جيوشه ليستوفي الجبايات.

---

[1] عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، (ط 2)، ج 1، ص: 219.

[2] عبد الكريم الفيلالي، المرجع السابق، ص:127

[3] دحام الحاج و بن شهرة زهرة، المرجع السابق، ص: 66

[4] مصطفى الشابي، الجيش المغربي في القرن التاسع عشر 1830 . 1912م، مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، (ط2)، 2002م، ج1، ص :118.)

[5] عبد الكريم الفيلالي، المرجع السابق، ص: 141.

[6] دحام الحاج و بن شهرة زهرة، المرجع السابق، ص: 67.

ومن الناحية العمرانية اهتم بمدينة مكناس وتعميرها وجعلها عاصمة لملكه، وربط علاقات خارجية خاصة مع الدول الأوروبية، فكان يقابل سفراء الدول وبعث بخطابات لكل من لويس الرابع عشر، وملك إسبانيا[1].

وتميز عهده بأنه عهد رخاء وأمن، حيث تمكن من استعادة معظم الموانئ التي كانت محتلة من طرف البرتغاليين والإسبان، فاسترجع المهدية من يد الإسبان سنة 1681م، ثم حاصر العرائش سنة 1100هـ/ 1689م، وأصيلا سنة 1102هـ/ 1691م واسترجعهما[2]، وعزم على فتح ثغري سبتة ومليلة، وشدد عليهما الحصار، لكنه لم يتمكن من تحريرهما، ووصل نفوذه إلى غاية بلاد السودان[3]، كما استطاع أن يوحد المغرب على حساب الإمارات والزعامات القبلية وشيوخ الزوايا، وكانت الآلة العسكرية وسيلة رئيسية اعتمد عليها المولى إسماعيل في تحقيق الوحدة السياسية للمغرب، لكن هذا الاستقرار لم يدم طويلا للمغرب حيث شهدت البلاد عهدا من التوتر والفوضى والاضطراب بعد وفاة المولى إسماعيل في 28 رجب 1139هـ/ 1727م، وبعد حكم دام 57 سنة.

3. مرحلة الفوضى والاضطراب بالمغرب:

تدهورت الأوضاع في المغرب بسبب النزاع على الحكم بين أبناء المولى إسماعيل، واستبداد جيش العبيد الذي أصبح الآمر الناهي في شؤون البلاد، فأصبح أمر التولية لإرضاء هؤلاء العبيد وليس لصالح البلاد[4]، وبسبب كثرة أولاد المولى إسماعيل كان كل واحد منهم يطمح في تولي الملك، فتولى ابنه أحمد المعروف بالذهبي الحكم سنة 1139هـ/ 1727م[5]، لكن لم تمضي سوى سبعة أشهر على

[1] عبد الجواد السقاط، جهود السلطان إسماعيل في بناء الدولة، ضمن مجلة دعوة الحق، العدد 186، ص:01.

[2] عبد الرحمن بن زيدان، المنزع اللطيف في مفاخر المولى اسماعيل بن الشريف، تح: عبد الهادي التازي، الدار البيضاء: مطبعة اديال، (ط1)، 1993م، ص: 8.

[3] عبد الله كنون، المرجع السابق، ص : 270.

[4] عبد الكريم الفيلالي، المرجع السابق، ص: 265.

[5] أبو العباس أحمد الناصري، المصدر السابق، ج 07، ص:114.

توليه الحكم حتى انقلب عليه العبيد لأنه لم يكن بقوة والده، ولم يستطع أن يحمي الشعب من ظلم المستبدين.

وكان أخاه عبد الملك في نظر المغاربة وخصوصا أهل فاس الأولى بالحكم، فأُستدعي من طرف العبيد لينصب على العرش بدل أخيه، فأصبح جنود العبيد يتصرفون في البلاد فيعزلون وينصبون من يشاءون[1]، وقد توفرت لعبد الملك الكثير من عناصر النجاح إلا انه لم يحسن استغلالها فعزل هو الآخر، ثم تمت بيعته مرة أخرى سنة 1141هـ/ 1728م، ولكن زاد تدخل جيش العبيد في شؤون تسير البلاد مما أدى إلى نشوب صراعات تطورت إلى حرب انتهت بمقتل عبد الملك خنقا، وتوفي بعده أحمد الذهبي.

وتولي بعدهما عبد الله بن إسماعيل الحكم الذي بويع هو الآخر مرات عديدة[2]، كان أولها في شعبان1141هـ/ 1728م[3]، فعمل على إخماد الفتن واتخذ من سياسة التقتيل أسلوبا لكسر شوكة جيش العبيد، لكن الأوضاع لم تستقر تماما فاختفى عبد الله مدة ثلاث سنوات كان يتردد خلالها على العرش، وانتهت هذه المرحلة التي تميزت بالاضطراب بتولي محمد بن عبد الله بن إسماعيل حكم من 1171هـ/1757م إلى وفاته عام 1204هـ/ 1790م[4].

شهدت هذه المرحلة اضطرابات وفتن كادت أن تعصف بالدولة العلوية، حيث أدى ضعف السلاطين وتناحرهم فيما بينهم إلى ازدياد نفوذ عبيد البخاري واستبدادهم بالسلطة وتحكمهم في تعيين وخلع السلاطين، فلم تكن لهذا الجيش عاطفة وطنية وتحول إلى عامل تفكك، مما أدى إلى اضطرابات اقتصادية واجتماعية، كما أدت هذه الصراعات إضافة إلى سياسة التقتيل التي انتهجها

[1] عبد الكريم الفيلالي، المرجع السابق، ص: 275 . 276.

[2] أبو القاسم الزياني، البستان الظريف في أخبار دولة أولاد مولانا الشريف بن علي، الرباط: مركز الدراسات والبحوث العلوية، (ط1)، ص1992م، ص: 383.

[3] دحام الحاج وبن شهرة زهرة، المرجع السابق، ص: 70.

[4] محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية "صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسط إلى الفترة المعاصرة"، الرباط: كلية العلوم والآداب الإنسانية الرباط، 1991م، (ط1)، ص:139.

المولى عبد الله بن إسماعيل إلى إضعاف القوة الحربية للجيش والقدرة العسكرية للبلاد بصفة عامة، وضياع هيبتها وهيبة سلاطينها[1].

وبعد وفاة المولى محمد بن عبد الله تولى يزيد بن محمد الحكم ودخل المغرب من جديد مرحلة ميزتها الفوضى كادت أن تعصف بالبلاد[2]، وذلك بسبب انتفاض أهل الحوز وهم من قبائل جبالة بناحية الجزء الغربي من جبال الريف على السلطان لما رأوه منه من تجافيه عنهم لما وفدوا عليه بمكناس وتفضيله لقبائل الودايا والبربر عليهم، فبايعوا أخاه المولى هشام مكانه، وهذا أدى إلى احتدام الصراع بين الطرفين ونشوب حرب انتهت بهزيمة المولى هشام وفراره من أرض المعركة، فلحق به أخيه المولى اليزيد وأثناء ملاحقته أصيب برصاصة أدت إلى وفاته في أواخر جمادى الثانية 1206هـ/1792م[3].

وبذلك انقضت فترة حكم المولى يزيد ودخلت البلاد في فترة اضطراب وتشتت، حيث اضطرب الأوضاع وافترقت الكلمة بالمغرب فتمسك أهل الحوز ومراكش بمبايعتهم للمولى هشام، في حين بايع أهل بلاد الهبط والجبل المولى مسلمة بن محمد شقيق المولى يزيد، أما أهل فاس فبايعوا المولى سليمان بن محمد[4]، واستمر الصراع على الملك بين المتنافسين، بالإضافة إلى تمرد في المدن والبوادي ومن طرف شيوخ القبائل.

4. الأوضاع الداخلية للمغرب في عهد المولى سليمان:

بويع أبو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن الشريف سنة 1206هـ/1792م، بعد ما أجمع العبيد والواديا والبربر أهل فاس وكبرائها من العلماء، على رأسهم الفقيه أبو عبد الله محمد التاودي بن سودة، والسيد عبد القادر بن شقرون وكبار فاس، [5]حيث دامت فترة حكمه ثلاثين

---

[1] شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات: الجزائر. المغرب . موريتانيا . السودان، القاهرة: دار المعارف، (ط1)، 2005، ص:297.

[2] المرجع نفسه، ص: 297.

[3] أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ج7، ص:82.

[4] المصدر نفسه، ج8، ص :86.

[5] أبو القاسم بن احمد بن علي بن إبراهيم الزياني، جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر ملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان، تح: عبد المجيد خيالي، بيروت : دار الكتب العلمية، (ط1)، 2003م، ص:5

سنة، وتتحدث الكتابات عن تميز المولى سليمان بتمسكه بالدين، حيث يورد أبو القاسم الزياني أنه كان متدينا، معتكفا على قراءة العلم، ملازما للصلاة منذ صغره، وسيظهر ذلك في فترة حكمه من خلال محاربته لأهل البدع والطوائف، وإصلاحاته التي أدخلها في المجتمع المغربي، ومشاركته في الحياة العلمية[1].

وبعد مبايعته انتقل إلى فاس الجديدة واستقر بها، ودخل في حروب لفرض سلطته على باقي مناطق المغرب، فهزم أخوه مسلمة الذي كان قائما على بلاد الهبط وهزمه[2] ثم استولى على مراكش عام 1211هـ/1797م، وعمل على إخماد الثورات كثورة الشاوية التي كانت بين 1792 . 1795م[3]، وثورة ابن عمه عبد الملك بن إدريس[4]، وأعاد الاستقرار للبلاد، وكانت سياسته الجبائية مخففة على الفلاحين وعموم الشعب فأسقط المكوس واستبدلها بالزكاة والأعشار[5].

وألغى المولى سليمان الغزو البحري على سواحل المغرب والتي كانت سببا رئيسيا في التوترات مع إسبانيا والبرتغال[6]، وتميزت سياسته الخارجية بالانغلاق، فمنع مختلف المبادلات التجارية الخارجية، وفرض رسوم جمركية مرتفعة على الواردات، وأغلق الموانئ في وجه التجارة، وكان جد متحفظ في معاملاته مع الغرب مما أدى إلى تقلص المعاملات التجارية وكساد اقتصادي،[7] ولعل هذه السياسية المنتهجة نتجت عن تخوفه من التطورات الدولية الجديدة كالتوسعات الفرنسية، وانقلاب موازين القوى

[1] محمود منصور، المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين 1822.1782م، تح: محمد حبيدة، الدار البيضاء (المغرب): المركز الثقافي العربي، ص: 219.

[2] أبو القاسم الزياني، المصدر السابق، ص : 7.

[3] حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء (المغرب) : دار الرشاد الحديثة، (ط1)، 1979م، ج3، ص: 131.

[4] المرجع نفسه، ص :132

[5] أبو القاسم الزياني، المصدر السابق، ص :7.

[6] محمد بن عبد السلام الضعيف، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، تح: أحمد العماري، الرباط: دار الماثورات، 1986م، (ط1)، ص: 13.

[7] أبو القاسم الزياني، جمهرة التيجان، المصدر السابق، ص : 7.

بين أوروبا والعالم الإسلامي خاصة في المجال العسكري، وبعد النتائج الاقتصادية الوخيمة على البلاد تراجع المولى سليمان عن سياسة الانغلاق وأعطى الأمر بتحرير التجارة.

أما من الناحية الدينية فقد عرف عن المولى سليمان انتقاده الشديد لأهل البدع[1]، فكان يدعو إلى إتباع النهج الصحيح وورد ذلك في خطبته التي أكد فيها أن القرآن الكريم هو مصدر هذا الدين، ودعا أهل المغرب لترك بدع المواسم مستشهدا بعدم إقامة الرسول صلى الله عليه وسلم لعمه حمزة موسما، وعدم إقامة أبي بكر لرسول صلى الله عليه وسلم موسما، ولا عمر أقام لأبي بكر موسما، فعرفت الفترة التي قضاها سلطانا على المغرب هزات اجتماعية نتيجة الإصلاحات الدينية التي ادخلها وذلك بحكم اطلاعه الواسع على الفقه والعلوم.[2]

وفي سنة 1816م تعرض شمال المغرب للجفاف ووباء الطاعون ، إضافة إلى موجة من الجراد اجتاحت البلاد، فاشتدت الأزمة خاصة مع تحرير المولى سليمان تصدير القمح إلى فرنسا مما أدى إلى ارتفاع الأسعار، ووسط هذه الأزمات أعلن السلطان في 1819م عزمه لغزو مجموعة من القبائل المتمردة كبني زيان، بني مكيلد، وآي تيوسي، وأسر السلطان إثر ذلك لكن أعيد إطلاق سراحه، وفي نفس الفترة تمرد أهل فاس القديمة فبايعوا إبراهيم بن اليزيد، وحدث اقتتال توفي إثره إبراهيم في جمادى الآخرة 1236 هـ/1820م ، لكن هذه الأزمات والانزلاقات أضعفت شوكة المولى سليمان.[3]

وتوفي المولى سليمان في ربيع الأول من عام 1238هـ/1822م بعد فترة حكم استطاع فيها أن يعيد استقرار المغرب، ويفرض هيبة السلطة داخليا، وأوصى بالحكم من بعده لابن أخيه عبد الرحمان ابن هشام بن محمد بن عبد الله، بعد أن توفي ابنه إبراهيم بن سليمان[4]الذي كان الوحيد المرشح

[1] المصدر نفسه، ص : 7.

[2] محمود منصور، المرجع السابق، ص :219.

[3] محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1996م، ج 7، ص:2512.

[4] محمد حجي، المرجع السابق، ج4، ص :2506

للإمارة عام 1234هـ/1819م[1]، لأنه رأى في أولاده عدم الصلاحية لتولي الحكم، وهذا دليل على سمو فكر هذا الرجل، حيث جمع بين الملك والعلم والعمل الخير والدين[2].

5. الأوضاع الداخلية بالمغرب في عهد المولى عبد الرحمن بن هشام:

بويع المولى عبد الرحمان بفاس في ربيع الأول من عام 1238هـ/1822م، [3]عرف بسياسته الانفتاحية بعكس عمه المولى سليمان، حيث أعطى نفسا جديدا للعلاقات الخارجية ووقع معاهدات مع الدول الأوروبية، كما أمر بإنشاء أساطيل الجهاد البحري وأذن لرؤساء البحر بسلا والرباط بالخروج للغزو، واعترضت السفن المغربية مراكب النابريال وهم النمساويين بتسمية ذلك العصر واستولوا على غنائمها، وبعد مدة ردت النمسا بهجومها على مرسى العرائش سنة 1245هـ/ 1829م[4]، ونتيجة لذلك لجأ السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام لعقد اتفاقية صلح تضم 12 بندا، توضح معاملات البيع والشراء وغير ذلك من شروط الأمن والاحترام بين الطرفين[5]، وكانت هذه الواقعة سببا في إعراض السلطان عن الاهتمام بجانب الأسطول والغزو البحري[6].

اهتم المولى سليمان داخليا بالجيش وانكب على تنظيمه فأمر بتخصيص الرواتب والكسوة والخيول للعبيد[7]، كما استعان بالقبائل كالشراكة وأهل السوس لتقوية جيشه، وحصن مدينة فاس بالآلات الحربية والمدافع، [8]وعرف عهده العديد من الثورات أبرزها ثورة الشمال سنة 1241هـ/

[1]أبو القاسم الزياني، جمهرة التيجان، المصدر السابق، ص : 7.

[2]الناصري، المصدر السابق، ج8، ص: 166.

[3]محمد حجي، المرجع السابق، ج7، ص :2514.

[4]أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ج9، ص : 25.

[5]المصدر نفسه، ص: 24.

[6]المصدر نفسه، ص : 25.

[7]المصدر نفسه، ص: 10

[8]عبد الرحمن بن زيدان، الدرر الفاخرة بمآثر ملوك العلويين بفاس الزاهرة، الرباط: المطبعة الاقتصادية، 1992م، ص: 79.

1825م التي قامت بها قبيلة الأخماس[1]، وتمرد أهل زاوية الشرادى سنة 1243هـ/1827م، فتوجه السلطان سن 1244هـ/ 1828م ودخل زاويتهم وقام بإخضاعهم.[2]

تولي هذا المولى حكم المغرب وسط توترات دولية وتغيرات كبيرة في العالم، حيث تزامن حكمه مع احتلال فرنسا للجزائر، وما تبع ذلك من أحداث حيث بايعه أهل تلمسان، فقبل المولى هذه البيعة وبعث ابن عمه علي بن سليمان على رأس كتيبة[3]، وردت فرنسا برسالة تهديد تكلف بها نائب قنصلها بطنجة، كما مارست فرنسا مجموعة من الضغوط على السلطان بسبب السماح للأمير عبد القادر بدخول الأراضي المغربية الحدودية[4]، وتطورت الأحداث بعدها إلى قصف فرنسا للسواحل المغربية في معركة ايسيلي في 13 أوت 1844م، وترتبط أساب هذه المعركة أساسا بلجوء الأمير عبد القادر الجزائري إلى المغرب[5].

توفي المولى عبد الرحمن بن هشام في شهر محرم سنة 1276هـ/ 1859م، بعد فترة حكم دامت سبعة وثلاثين سنة ميزتها الاضطرابات الداخلية، والتطورات الدولية وسعى هذا السلطان للحفاظ على استقلال المغرب واستقراره خارجيا، فكان من أكثر السلاطين الذين وقعوا الاتفاقيات، واستطاع قمع الثورات الداخلية، والحفاظ على وحدة المغرب.

[1] دحام الحاج و بن شهرة زهرة، المرجع سابق، ص : 77.

[2] ابو العباس الناصري، المصدر السابق، ج 9 ، ص: 17.

[3] المصدر نفسه، ج 9 ، ص: 49.

[4] بهيجة سيمو، الاصلاحات العسكرية بالمغرب 1846 . 1912م، الرباط : المطبعة الملكية، 2000م، ص: 73.

[5] المرجع نفسه، ص : 81.

المبحث الثاني: الحركة العلمية بالمغرب الأقصى منذ بداية العهد العلوي إلى منتصف القرن التاسع عشر ميلادي.

شهد المغرب مع فجر الدولة العلوية استقرارا بعدما تمكن المولى الرشيد من توحيد البلاد وكسر شوكة الثورات التي قامت في القرن الحاجي عشر الهجري (ق 17م)، وبعدما تمكن المولى إسماعيل من استرجاع جملة من الثغور التي كانت محتلة من طرف البرتغاليين، ونتيجة لهذا الاستقرار عرفت الحياة الثقافية تطورات، [1]حيث بدأ تشجيع العلم والأدب وبرز علماء كان لهم الدور الفعال في تنشيط الحركة العلمية.

1. الحركة العلمية بالمغرب الأقصى مع بداية العهد العلوي 1650. 1672م

ارتبط نشاط الحركة العلمية كثيرا بالأوضاع السياسية في المغرب، فكانت تنشط باستقرار الوضع السياسي، وتعرف ركودا في حالات الاضطراب والفوضى، ومع الهدوء النسبي الذي ميز مرحلة تولي المولى الرشيد للحكم 1669. 1672م شهد عصره تطورا واضحا في مجال التعليم حيث أولى اهتمامه بالعلم والعلماء وقربهم منهن وكان كثير التردد عليهم، متناولا لكتبهم، وعرف بمقولته الشهيرة "العلم يؤتى ولا يأتي"، وكان ملازما لمجالس الشيخ الحسن بن مسعود بن محمد المسمى بنور الدين اليوسيبجا مع القرويين، ونظم هذا المولى اللقاءات الفقهية[2].

وساهم المولى الرشيد في تشجيع الحياة الثقافية فأسس المدارس، كمدرسة الشراطين سنة 1670م بفاس، [3]ومدرسة السوس التي ساهمت في ازدهار التعليم بالمنطقة وشيدت مدارس للعلماء والمكتبات

[1] عبد الجواد السقاط، صورة من الحياة الأدبية في عصر الدولة العلوية من سمات النهضة الأدبية في العصر العلوي الأول، ضمن ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، المملكة المغربية: منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، ص: 84

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج 7، ص : 42.

[3] عبد الرحمن بن زيدان، المصدر السابق، ص : 12.

ودور الفقهاء والمربين لاسيما في سبتة وسلجلماسة وسلا وطنجة[1]، وكانت هذه المدارس رسمية تشرف عليها الدولة، تمثل استمرار للنموذج المريني والأندلسي.

كما شهدت هذه الفترة توسعا نسبيا في الكتاتيب والزوايا والمساجد، ولم يكن التعليم في جل هذه المؤسسات محددا بتشريعات ولا بلوائح قانونية لكن هناك أعراف تنظم شؤونها كما أنشأ الرشيد خزانة علمية وجلب إليها الكتب النادرة، والمخطوطات النفيسة، وعند هدم الزواية الدلائية نقل ما بها من كتب ومخطوطات إلى علماء فاس وطلابها للاستفادة منها فضلا عن نقله لعلماء الزاوية الدلائية للتدريس بفاس، مما ساهم في ازدهار مساجد المدينة ومدارسها الأدبية والعلمية، ومن بين هؤلاء العلماء الذين انتقلوا إلى فاس محمد المرابط، محمد الشاذلي، محمد المناوي[2].

2. الحركة العلمية بالمغرب على عهد المولى إسماعيل:

شهد المجال الثقافي مع عهد المولى إسماعيل الذي اتسم بالاستقرار نشاطا كبيرا ويتضح ذلك من خلال التطور الذي عرفه التعليم، فأنشأ مدرسة الأوداية بالرباط لتكوين رواد في الملاحة البحرية وتعد هذه المدرسة من المؤسسات المتخصصة في التعليم التطبيقي، [3]وكلف لجنة تتفقد أحوال التلاميذ ودراستهم في الكتاتيب القرآنية، وكان ينفق عليهم ومن ظهرت نجابته وفرض تفوقه انتقاه لمجالسه العلمية، واهتم بالطلبة الكبار في المعاهد العليا فكان يجري لهم اختبارات ويختار المتفوقين منهم للمناصب الشرعية والدينية[4]، وقد وصف الكومندار "استوار" (Hestoire) هذه المدارس في رحلته التي كتبها عن رحلته إلى مكناس قائلا: "توجد مدارس عديدة، يتعلم فيها الصبي الكتابة والقراءة والحساب، ويحفظون القرآن على ظهر قلب"، [5]كما ازدهرت حركة التأليف والنسخ، كان هذا المولى

[1] عبد الله كنون، المرجع السابق، ص : 274.

[2] محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الرباط : المطبعة الوطنية، 1664م، ص: 30.

[3] ابراهيم حركات، التيارات الفكرية والسياسية بالمغرب، المرجع السابق، ص : 11

[4] أسيا الهاشمي البلغيثى، المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة، المملكة المغربية: مطبعة فضالة، 1996م، ج1، ص: 236.

[5] آسيا الهاشمي البلغيثي، المرجع السابق، ص : 237.

مهتما بالكتب فجمع الخطاطين لنسخ المؤلفات القديمة النادرة مما ساهم في إثراء حركة التراث الفكري وتجديدها وجمع الكتب والمخطوطات القديمة[1].

وسار المولى إسماعيل على نهج أخيه المولى الرشيد حيث كانتله مجالس علم يجالس فيه الأئمة والشيوخ[2]، وقربهم إليه وأغدق عليهم بالأموال والرواتب للالتزام والتفاني في طلب العلم والتفرغ له[3]، وكان البعض من هذه المجالس العلمية يتخذ شكل المناظرات، وتقوم على الجدال والحوار بينه وبين معارضيه من العلماء لبعض قراراته[4]، ومن ابرز العلماء بمجالسه العلمية السلطانية الشريف محمد بن عبد القادر الإدريسي، وطبيبه الخاص أحمد أدراق، والشريف محمد بن عبد القادر العمراني، كما أحب الشعراء وعرف أن بلاطه كان غاصا بالشعراء والكتاب، وعزز المولى إسماعيل مجالسه هذه بخزانات علمية زودها بعدد هائل من المصادر والمراجع القيمة[5].

وتميزت هذه الفترة بمنافسة قوية قامت بين علماء البوادي والمدن خاصة في مدينة فاس، حيث انه بعد ما خربت الزاوية الدلائية استقر علمائها بفاس بإذن من السلطان، ولم يمضي وقت طويل حتى اعتلى علماء البواد كراسي التدريس، أمثال الشيخ محمد بن محمد الشاذلي، والشيخ محمد بن أحمد المسناوي، والشيخ الحسن بن مسعود اليوسي (1102 هـ/1691م)، وأخذوا ينافسون علماء فاس منافسة قوية، الشيء الذي أتاح جوا ثقافيا علميا حافلا بالعطاءات والمساهمات الفنية.

ولمع علماء في مختلف المجالات كالشيخ أبي الفضل مسعود بن محمد جموع (ت1119هـ/1708م) صاحب "نفائس البدر في سيرة خير البشر"، وأحمد عبد الحق الحلبي (ت1120هـ/1709م) صاحب "مناهل الصفا في جمال ذات المصطفى" اللذان برزا في السيرة النبوية،

---

[1] عبد الهادي التازي، ، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، الرباط : دار نشر المعرفة، 2000م، (ط2)، ج 3، ص: 217.

[2] عبد الجواد السقاط، من تاريخ الحركة الثقافية في عهد المولى إسماعيل، ضمن مجلة دعوة الحق، العدد 258، أوت 1986م، ص:1.

[3] أسيا الهاشمي البلغيثي، المرجع السابق، ص: 237.

[4] المرجع نفسه، ص : 254

[5] المرجع نفسه، ص : 237.

أما في علم الحديث نذكر محمد بن عبد الرحمن بن زكريا الفاسي(ت1194هـ/1780م) صاحب الشرح على "صحيح البخاري"، وكذلك علي بن أحمد الخريشي (ت 1145هـ/1733م) واضع الشرح على "موطأ الإمام مالك"، وفي التفسير واللقاءات برز أبا العلاء إدريس بن محمد المعروف بالمنجزة"[1].

أما فيما يتصل باللغة وما يتعلق بها من نحو وتصريف وبلاغة وعروض، فقد ظهرت فيها أسماء متألقة ربما كان الشيخ الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي أبرزهم، وما يمكن استنتاجه من مسيرة الأدب في المغرب أن معظم الشعراء كانت لهم مشاركة في أكثر من مجال، حيث كانوا يهتمون بأصناف مختلفة من العلوم إلى جانب اهتمامهم بالشعر، ومن هنا نجد في عهد المولى إسماعيل إنتاجا شعريا خصبا، أما النثر فقد تميز في هذه المرحلة بتنوع موضوعاته وتعدد اتجاهاته[2].

ورغم هذا إلا أن هناك مؤشرات تدل على أن الحركة الثقافية في أيام المولى إسماعيل لم تكن تسير بأحسن حال، نظرا للنزاع القائم بين السلطة والعلماء، ويتجلى ذلك من خلال:

موقف السلطة من العلماء والذي اتسم في أحيان كثيرة بنوع من العنف بسبب التشتت الذي كان، حيث يفسره البعض بأنه ضرورة كانت تمليها ظروف جمع الكلمة ولم الشتات، وتحقيق الوحدة المفقودة، ومن مظاهر هذا الموقف إلقاء القبض على القضاة وسجنهم بمشور فاس بتهمة الجهل سنة 1093هـ/ 1682م، والتشديد على شيوخ الزوايا ودعوة العلماء لخروج للجهاد، إضافة إلى قضية الضغط على علماء فاس من أجل الموافقة على تمليك العبيد[3].

3. الحركة العلمية بالمغرب في عهد المولى محمد بن عبد الله:

دخل المغرب فترة فوضى واضطراب سياسي بعد وفاة المولى إسماعيل دامت مدة ثلاثين سنة، مما جعل الحياة الثقافية تمر بفترة ركود وتدهور، ومع اعتلاء المولى محمد بن عبد الله لعرش الدولة العلوية

[1] عبد الجواد السقاط، من تاريخ الحركة الثقافية، المرجع السابق، ص: 1.

[2] عبد الله كنون، المرجع السابق، ص: 281.

[3] محمد مرزاق، وقفة على أحوال الثقافة والمثقفين أيام المولى إسماعيل، ضمن ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، المملكة المغربية: منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، ص: 260.

1075هـ/ 1647م، عرف المجال الثقافي إصلاحا واستنهاضا لهمم العلماء، فعرفت فترته ازدهارا وانتعاش للحياة العلمية الفكرية، فقرب العلماء والفقهاء منه، وأولى الجانب الفكري من الدولة كل الرعاية[1].

كان المولى محمد شديد الاهتمام بتكوين العلماء، فكان ينتقي منهم النبغاء لمجالسه العلمية التي كان يترأسها بنفسه، ويطيل مجالستهم ومناقشتهم في القضايا التي يطرحها عليهم، ولاسيما في علم الحديث النبوي الشريف الذي كان يكثر من المجالس العلمية الخاصة به، ولهذه الغاية استقدم إليه كبار العلماء كالمحدث الكبير الشيخ ادريس العراقي، والفقيه الشيخ محمد الغربي، والشيخ علي بن إدريس الفيلالي[2]، وكان يدرس في مجاله التفسير وعلوم القرآن وغيرها[3]، وكان بلاطه زاخرا بالعلماء والأدباء، واتخذ من هذه المجالس العلمية التشريعية منبرا لحركته الإصلاحية التي دعا فيها إلى الرجوع للمصادر الأصلية للشريعة الإسلامية[4].

واهتم المولى محمد بن عبد الله بإصلاح شؤون التعليم في البلاد، انطلاقا من مجالسه العلمية، فوضع برامج ومناهج تعليم لإصلاح نظام التعليم خاصة بجامع القرويين فأصدر مرسوم سنة 1778م، ورد في الفصل الثالث منه إشارة واضحة لفلسفته العلمية وبرنامجه التعليمي، وأوضح فيه مناهج الدراسة، واختار المصادر والكتب المستعملة للتدريس بدقة[5]، وألزم المطلعين على المنشور من العلماء ورجال الدولة بتنفيذه، واهتم هذا السلطان بالدراسات الحديثية، وكان ضد تدريس المختصرات في

[1] محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب الأقصى على عهد الدولة العلوية (1075.1311هـ/ 1664 . 1894م)، الدار البيضاء (المغرب): دار الرشاد الحديثة، 1977م، (ط1)، ص: 272.

[2] عبد الهادي حسيسن، موقف السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي من كتب الفروع، ضمن مجلة دعوة الحق، العدد 246، مارس 1985م، ص : 1.

[3] آسيا الهاشمي البلغيثي، المرجع السابق، ج 1، ص : 305. 306.

[4] نقولا زيادة، صفحات مغربية، بيروت : دار الطليعة، 1996م، ص: 80

[5] المرجع نفسه، ص: 80.

علم الحديث بصفة مباشرة كتاب "مختصر خليل"[1]، وتعزيزا لبرنامجه الإصلاحي التعليمي ألف بمساعدة علماء مجالسه العلمية كتابه "مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان"[2].

وفي عهده أصبحت مراكش قبلة للعلماء من فاس والرباط ومكناس بسبب النهضة العلمية التي عرفتها، وبرز علماء كالشيخ أبو القاسم الزياني الذي له ما يقرب العشرين مؤلف، أشهرها "الترجمانة الكبرى عن دول المشرق والمغرب"[3]، وأولى مكتبة جده إسماعيل اهتماما.[4]

كان المولى محمد بن عبد الله، رغم أعباء الحكم والمسؤولية عالما ساهم في تنشيط الحركة الفكرية في عهده، ولعب دورا إصلاحيا وأحدث ثورة في مجال التعليم بالنسبة لعصره، وقبل النهضة الحديثة بحوالي القرن ونصف القرن.

4. الحركة العلمية بالمغرب في عهد المولى سليمان:

واصلت الحياة الثقافية ازدهارها على عهد المولى سليمان، فقد عرف عن هذا المولى بعلمه قبل ملكه، فسار على نهج والده في الاهتمام بالعلم والعلماء، حيث يصفه الشيخ أبو القاسم الزياني الذي لازمه منذ صغره حتى توليه العرش قائلا : "...وكان المولى سليمان ذا أخلاق فاضلة، واشتهر بالحلم والعدل والصبر، والعفو والعدل وحسن السيرة..."[5]، فعمل على نشر العلم بالحواضر والبوادي، وكان هذا السلطان يختلط بالطلبة ويحضر الحفلات التي تقام بمناسبة ختم الدروس العلمية، وكان يحضر دروس بعض العلماء بالقرويين وهو ملك، ويزور الفقهاء بنفسه في تواضع كامل متقصيا

[1] آسيا الهاشمي البلغيثي، المرجع السابق، ص :325.
[2] المرجع نفسه، ص: 329.
[3] أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، تح: عبد الكريم الفيلالي، الرباط، 1967م، ص : 12.
[4] محمد الأخضر، المرجع السابق، ص: 271.
[5] آسيا الهاشمي البلغيثي، المرجع السابق، ج1، ص: 367.

أخبارهم المادية وأحوالهم الصحية[1]، يشجعهم على القيام برسالتهم التعليمية المقدسة بالمساجد، وتحمل مسؤولية تربية وتعليم الأجيال الصاعدة[2].

وعرف عن المولى سليمان تصوفه وتعلقه المتين بالمبادئ الصحيحة للإسلام، فحارب بشدة البدع المخالفة للسنة النبوية، كما واكب عهده ظهور الحركات السلفية بالعالم العربي كالوهابية في شبه الجزيرة العربية، وبوصول أفكارها للمغرب وطبق بعض تعاليمها كمنعه زيارة القبور وإقامة مواسم الصالحين[3].

وكان المولى سليمان يعقد المجالس العلمية لمدارسة الحديث النبوي الشريف، وينتقي لذلك الأسانيد ومشايخ القراء والعلماء[4]، ونتج عن هذه الجلسات قصائد رائعة نظمت في حفلات ختم هذه الدروس الحديثية[5]، وكان يحضر هذه الجالس ويناقش علمائها في أعوص المسائل محاولا إيجاد الحلول المناسبة[6]، كما كان يعقد المجالس الأدبية، وكان يستقدم لهذه المجالس العلماء فقد استقدم من الجزائر أحد علمائها وهو محمد الشاهد إثر قصيدة مدح "لمختصر خليل"[7].

هذه الروح العلمية التي كان يتحلى بها المولى سليمان انعكست على عصره، فراج العلم والأدب، وبرز فيه علماء كبار احتفظ التاريخ بأسمائهم، وأصبح البروز في العلم والتفوق غاية وهدف، كما ساعد اهتمامه بالعلماء والطلبة على التفرغ للعلم والانقطاع له، والاجتهاد في طلبه، فبرزت أسماء كالصوفي اللامع المعطي بن صالح الشرفي مؤلف كتاب "ذخيرة الغني والمحتاج" وفقهاء كبار أمثال الشيخ ابن كيران، والشيخ حمدون ابن الحاج.

---

[1] أبو القاسم الزياني، جمهرة التيجان المصدر السابق، ص:12.

[2] آسيا الهاشمي البلغيثي، المرجع السابق، ص: 368.

[3] محمد الأخضر، المرجع السابق، ص: 277.

[4] ابو العباس الناصري، المصدر السابق، ج8، ص: 170.

[5] آسيا هاشمي البلغيثي، مرجع سابق، ص : 370،

[6] محمد الأخضر، المرجع السابق، ص : 276.

[7] إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب، المرجع السابق، ص: 49.

ولم تكن العلوم الدينية فقط التي عرفت ازدهارا واتسعا بل حتى التأريخ والتراجم اللذان لم يكن لهما اهتمام كبير في ذلك العهد، أخذا يسجلان تقدما فبرز أبي عبد الله محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري بمؤلفه "نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني"[1]، الذي ترجم لمختلف أعلام المغرب خلال هذه الفترة، أما في مجال التاريخ فبرز "محمد الضعيف الرباطي" بمؤلفه "تاريخ الدولة السعيدة" المعروف بتاريخ الضعيف[2]، وازدهر كذلك فن الرحلات والأدب والشعر[3].

لقد كان لسياسة ملوك الدولة العلوية الأثر البالغ في الحياة الثقافية، وانعكست الروح الثقافية لهؤلاء الملوك وميولاتهم العلمية على أرض الواقع، كما تأثرت الحياة الثقافية بالأحوال السياسية فازدهرت باستقرارها وتراجعت باضطرابها، كما تأثرت الحياة الثقافية بالمغرب بالتغيرات التي طرأت في العالم الإسلامي وأثرت فيه

5. التعليم بالمغرب في العهد العلوي:

لم تمنع الاضطرابات السياسية عبر قرنين ونصف من وجود حركة تعليمية ثقافية، تهتم بها فئات اجتماعية، وتساهم في تنشيطها السلطة، وشهدت الفترة العلوية بالمغرب توسعا كبيرا في إنشاء المدارس التعليمية، كالكتاتيب التي كانت تساعد على الحد من الأمية بتعليم القراءة والكتابة والسور القرآنية، والتي تعتبر المرحلة الأولى من التعليم ويتلقى فيها الصبيان الصغار تعليمهم الابتدائي، إضافة إلى دور الفقهاء والمربين التي تعتبر المرحلة المتوسطة في التعليم يلقن فيها قواعد اللغة والمبادئ الأساسية في علوم الفقه والقرآن، أما الزوايا فكانت تلعب دورا مشابها إضافة إلى تلقين الذكر والأوراد وإخضاع روادها لتوجيه روحي، كما لعبت المساجد دوارا تعليميا فكانت تمكن الجماهير التي تتكون أغلبها من الحرفيين من الاستماع إلى دروس السيرة النبوية والوعظ وحتى الحديث والتفسير، وحلقات لشرح بعض المتون التعليمية للتلاميذ، ولم يكن التعليم في معظم هذه المؤسسات محددا بقوانين وتشريعات، ولم

[1] أبو عبد الله محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمد حجي وأحمد توفيق، الرباط: دار المغرب، 1997، ج1، ص : 10.

[2] محمد الضعيف الرباطي، المصدر السابق، ص : 10.

[3] محمد الأخضر، المرجع السابق، ص، ص: 278. 280.

توجد أعراف تنظم شؤون هذه المؤسسات باستثناء المدارس الطلابية الرسمية كمدرسة الشراطين أو المدرسة الجديدة التي أسسها الرشيد وأكملها المولى إسماعيل عام 1089هـ/1678م[1]، كانت تشرف الدولة على أنظمتها ودفع رواتب أساتذتها والقائمين عليها[2].

وكان التعليم في جميع هذه الأطوار والمؤسسات بدائيا في طرقه التربوية التلقينية، ولم يكن يستجيب للروح الإسلامية التقدمية، وكان التعليم في الكتاتيب القروية يخضع من حيث تنظيمه لبعض الأعراف المحلية، حيث كان المعلم يتعاقد مع الجماعة المقيمة بالقرية أن يتولى التعليم في قريتهم مقابل شروط مادية، وكل هذا يتم بعيدا عن تدخل الدولة، أما كتاتيب المدن فكانت تستفيد من بعض الدعم من الأوقاف أو بيت المال[3].

أما بالنسبة للمساجد فلم تخل هذه الفترة من تدخل الدولة بين الحين والآخر في تحديد المواد الدراسية والكتب المقررة بالأخص بجامع القرويين[4]، حيث جاء في المقرر الذي أصدره محمد الثالث بشأن جامع القرويين المذكور سابقا: "إننا نأمرهم أن لا يدرسوا إلا كتاب الله تعالى بتفسيره، ومن كتب الحديث المسانيد والكتب المستخرجة منها، والبخاري وغيرهما من الكتب الصحاح... وكذلك الفقهاء الذين يدرسون الإسطرلاب وعلم الحساب، فينبغي أن يأخذوا حظهم من الأوقاف...ومن أراد أن يخوض في علم الكلام والمنطق وعلوم الفلسفة وكتب غلاة الصوفية فليتعاطى ذلك في منزله..."[5].

أما في ميدان العلوم التجريبية فلم يكن التعليم في المغرب قد وصل للتقدم الكبير الذي حصل في معاهد الغرب في هذا المجال، فقد ذكر زائر فرنسي للمغرب خلال القرن التاسع عشر أن القرويين

---

[1] بوركبة السعيد، دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية، المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1996م، ج1، ص 240.

[2] إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب، المرجع السابق، ص، ص: 10 . 11.

[3] المرجع نفسه، ص: 12.

[4] المرجع نفسه، ص: 15.

[5] عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ج 3، ص :723.

لم تعد تدرس به في المواد العلمية إلا مبادئ الهندسة حسب اقليدوس، ويقتصر تدريس الفلك على معلومات ضرورية لمعرفة أوقات الصلاة، وليس للجغرافيا مكان في برامج التعليم، بينما تدرس الفيزياء حسب أرسطو، وأن الطب يقتصر على الروحانيات فقط ولا مكان للتشريح، والواقع اجل هذا الكلام يصادف وجه الحقيقة فالأراجيز المتداولة في العلوم لم تكن إلا شروحا وترديدا لنظريات الإغريق ومسلمي العصر الوسيط[1].

ونلمح في التاريخ الثقافي المغربي حركة إصلاحية تجديدية في ميدان التعليم كان هدفها إنعاش دراسة العلوم الرياضية والعسكرية، وتقريبها من الدراسات الحديثة وابتدأت هذه الحركة مع السلطان عبد الرحمن بن هشام، ويذكر أبو اسحاق التادلي (ت 1311هـ/1894م) أن السلطان المولى عبد الرحمن، أمر أحد أعلام الميقات والتعديل بفاس المكي جنان على إقراء هذه العلوم[2]، وتم إحداث دروس الرياضيات والفلك وكانت أول مظهر للحركة الإنبعاثية، وقد بدأ بعضها أيام السلطان المولى عبد الرحمن واتجهت إلى كل من فاس حيث كان الفلكي الحاج محمد بن الطاهر الحبابي الفاسي (ت 1267هـ/ 1851م) يأخذ عنه عدد من أفراد الجيش السلطاني العلوم، وفي مراكش درس بها جملة من الطلبة وجههم لها السلطان عبد الرحمن بن هشام ليتعلموا الهندسة مع ولده الأمير محمد الرابع، وفي مكناس أمر نفس السلطان باشا المدينة بأن يختار عشرة من طلبة جيش البخاري ليتعلموا التوقيت والحساب على الفلكي أبي زيد عبد الرحمن بن محمد البصري المكناسي (ت 1268هـ/1852م)، وفي تطوان لأمر هذا السلطان المدفعيين تعلم الحساب من أبو الحسن علي بن محمد السوسي (ت1311هـ/1894م)[3].

[1] إبراهيم حركات، التيارات الفكرية والسياسية، المرجع السابق، ص: 18.

[2] محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدراس، 1985م، (ط2)، ج1، ص:135.

[3] محمد المنوني، المرجع السابق، ص، ص: 98. 99.

6. دور الوقف في الحياة الثقافية في العهد العلوي:

الوقف في مفهومه اللغوي يدل على الحبس والمنع، أما اصطلاحا فعرفه الإمام ابن عرفة حيث قال: "الوقف إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازما بقاءه في ملك معطيه، ولو تقديرا"[1]، ويعرف كذلك بحبس الأصل وتسبيل الثمرة، أي منع الشيء الموقوف من أن يباع أو يوهب أو يورث، والتسبيل معناه جعل منفعته واستعماله والانتفاع به في سبيل الله لفائدة الذين حبس عليهم من طرف المحبس.[2]

نشطت الحياة العلمية والثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية ويرجع ذلك إلى عدة عوامل أهمها الأوقاف المخصصة للعلماء والفقهاء الذين يقومون بالتعليم سواء في المدارس والمساجد والكتاتيب، أو الأوقاف الأخرى التي خصصت للكتب العلمية التي تشحن بها الخزانات والمكتبات التي يستفيد منها طلبة العلم،

وقد لاقى الوقف عناية من قبل الملوك العلويين بالمغرب، فأصلحوا جهازه وأدخلوا عليه تنظيمات كفلت استمراره في أداء رسالته المنوطة في الحياة الثقافية[3]، فاهتم سلاطين الدولة العلوية بالوقف فالمولى رشيد أولى اهتماما كبيرا بجهاز الأوقاف منذ أن بويع بالخلافة، ووجه عنايته بالمراكز الثقافية فاستفاد منها العلم والعلماء والطلبة[4]، وتواصل هذا الاهتمام مع المولى محمد بن عبد الله، فأوقف أملاك كثيرة ليستفيد منها طلبة العلم، خاصة طلبة مراكش، فأوقف جنانا له يقع بالقرب من قصبة مراكش وغيرها من الأملاك لهم، أما طلبة مكناس فأنشأ مرتبا لهم وأوقف على طلبة فاس جميع الجنان الكائنة بساحة داره السعيدة المعروفة بدار الدبيغ.

---

[1] بوركبة السعيد، المرجع السابق ، ص، ص: 17 . 18.

[2] حبيبة أحادوش، نظام وقف الكتب وأثاره في بعض مناحي الحياة الدينية والعلمية بالمغرب، ضمن مجلة دعوة الحق، العدد 404، يناير2013م، ص :1.

[3] عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ج 3، ص : 704.

[4] بوركبة السعيد، المرجع السابق، ص: 186

وأسس السلطان إسماعيل كتاتيب قرآنية وأوقف عليها أملاك وكنموذج من الكتاتيب القرآنية التي انصب عليها الوقف مكتب يقابل باب الحفاة لمسجد الأندلس، وآخر بجواره وغيرها من الكتاتيب، [1]وأمر النظار في كل الأنحاء بإحصاء الأوقاف وتسجيلها في دفاتر خصوصية رسمية، تكون وثيقة قانونية وتاريخية، سميت بالحوالات الإسماعيلية، [2]وتواصل دعم الوقف للحياة الثقافية مع المولى عبد الله بن اسماعيل، ولم تقتصر أوقاف هذا المولى على المغرب فقط، حيث ذكر الشيخ محمد عبد الحي الكتاني أن هذا السلطان وقف ثلاثة وعشرون مصحف على المسجد النبوي بالمدينة المنورة[3]، وسار المولى سليمان على نفس النهج فأولى اهتمامه بالأوقاف فأمر بجمع حوالة تضم مختلف الأوقاف السائدة في عهده، سميت بالحوالة السليمانية[4]، وفي مجال الثقافة وبعد وفاة العالم الكبير محمد بن عبد السلام الفاسي عام 1219هـ/1802م اشترى هذا المولى خزانته وحبسها على أولاده وكتب على الورقة الأولى من كتاب تفسير الجلالين أن الخزانة تنتقل إلى أحباس خزانة القرويين بعد انقراض جميع أفراد أسرته[5].

ولم تكن هذه العناية من طرف الملوك فقط، بل ساهمت مختلف فئات المجتمع فيه حتى أبسط الناس، فأوقفوا أموالهم على المساجد باعتبارها مراكز دينية وثقافية في نفس الوقت، فقد وردت في الحوالة العباسية في جزء الوقف على المساجد، أن العجوز فاطمة بنت إبراهيم القنعاي حبست جميع الدويرة المعروفة لها بدرب نزالة الحاج بلقاسم التكني الكائنة بالزاوية العباسية بمراكش على مسجد سيدي غانم لينتفع بها وبكرائها[6]، ويوضح هذا المثال أن عامة الناس كانوا يوقفون أملاكهم على

[1]بوركبة السعيد، المرجع السابق، ص، ص: 235. 237

[2]محمد مكي الناصري، الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1992م، ص:17.

[3]أحمد شوقي بنبين، ظاهرة وقف الكتب في تاريخ الخزانة المغربية، ضمن مجلة دعوة الحق، العدد 404، يناير 2013، ص: 1.

[4]بوركبة السعيد، المرجع السابق، ص: 356.

[5]أحمد شوقي بنبين، المرجع السابق، ص : 1

[6]بوركبة السعيد، المرجع السابق، ص : 180.

المؤسسات الثقافية، ولم يقتصر الأمر على الملوك والعلماء فقط، كما لم يقتصر الأمر على المساجد الكبرى بل شمل حتى الصغير منها.

ولعب الوقف دورا من حيث دعمه للكراسي العلمية التي كانت تقوم بتدريس العلوم، وإلى جانبها كانت تقوم مجالس علمية، ووقفت على هذه الكراسي مجموعة من الأوقاف خاصة الكتب مثل كرسي الونشريسي الذي يعتبر من أثرى الكراسي العلمية وأغناها بالقرويين حيث كان عدد الأوقاف المخصصة له تسعا وأربعين وقف[1]، وبجامع الأندلس فقد وقفت على كرسي التفسير مثلا كتب كثيرة من بينها كتاب تفسير الفخر الرازي، والاكتفاء للكلاعي، [2]كما كان للوقف دور فعال في الكراسي العلمية في مساجد فاس خاصة جامع القرويين ومن بين الكراسي المدعمة بالوقف لهذا المسجد كرسي المحراب، وكرسي ظهر الصومعة[3]، كما كان للوقف دور في تدعيم الكراسي العلمية بغير جامع القرويين، ككرسي التوريق بمسجد العقبة الزرقاء، وكرسي التوريق بمسجد الأبارين[4].

كما كان هناك علماء أثروا في الحياة الثقافية سواء من فوق الكراسي الوقفية أو من فوق الكراسي التعليمية، وكانت تنسب عليهم الحوالات الوقفية ومن بين هذه الأسماء الشيخ العلامة عبد القادر الفاسي الفهري (ت: 1091هـ/1680م)، والشيخ العلامة محمد بن سليمان الروداني (ت 1094هـ/1683م)، ومحمد المهدي الفاسي (ت 1109هـ/1698م)[5]، كما لعب الوقف دورا في تنشيط المجالس العلمية ودعمها، على سبيل المثال نذكر مجلس الشيخ العلامة أحمد الوزازي (ت: 1199هـ/ 1785م)، ومجلس الشيخ أحمد غيلان (ت: 1188هـ/1774م)[6].

---

[1] عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ج3 ص : 379.

[2] بوركبة السعيد، المرجع السابق، ص 168.

[3] المرجع نفسه، ص : 357.

[4] المرجع نفسه، ص: 361.

[5] عبد الله كنون، المرجع السابق، ص : 283 . 284.

[6] بوركبة السعيد، المرجع السابق، ص :309.

لقد كان للوقف دور كبير في التنمية الشاملة في المجتمعات الإسلامية، وبخاصة في النواحي الثقافية في وقت كان فيه دور الدولة محدودا نسبيا، فكان له إسهامات في المجال الثقافي تتجلى في كل ما يقوم به نحو مؤسسات التعليم من مساعدة طلبتها وشيوخها على تحصيل العلوم ونشرها، وإذا كان هذا النشاط العلمي للوقف قد نما في الدول الإسلامية بصفة عامة، فإنه في الغرب الأقصى قد أصبح أكثر نموا واتساعا، في كل مجالات الفكر والمعرفة بالخصوص في عهد الملوك العلويين الذين أعطوا للوقف كامل عنايتهم ورعايتهم واهتمامهم.

المبحث الثالث: الحياة السياسية والثقافية بالمشرق العربي الإسلامي خلال الفترة الحديثة.

خضع المشرق الإسلامي منذ العقد الثاني من القرن العاشر الهجري (ق 16م) للخلافة العثمانية، وخلال هذا العهد برزت بالمشرق حواضر علمية وثقافية ازدهرت بها حلقات الدروس العليا، وفي مقدمتها القاهرة بمصر، ومكة المكرمة والمدينة المنورة، إضافة إلى دمشق بالشام.

1. الوضع السياسي بمصر خلال الفترة الحديثة

بدأ العثمانيون توسعاتهم في المشرق وكانوا قد وصلوا سوريا واستولوا عليها، في حين كانت مصر تحت حكم المماليك[1]، فبعث السلطان سليم الأول رسالة لطومان باي قائد المماليك بمصر يخيره فيه بين الطاعة والولاء أو الحرب، فأصر قائد المماليك على المقاومة، والتقى جيش المماليك مع جيش الدولة العثمانية في 29 ذي الحجة 922هـ/ 1517م، ووقعت معركة الريدانية التي حددت مصير مصر بانتصار العثمانيين[2]، ولكن طومان باي لجأ للسلاح الاقتصادي وحاول استرجاع ملكه بمصر لكنه فشل حيث توجه إلى صعيد مصر ومنع وصول السلع إلى العثمانيين، [3]وبعد أن أتم العثمانيين فتح مصر عين السلطان واليا عليها، وقسم السلطة في مصر بين ثلاثة قوات، كان الباشا يمثل القوة الأولى وكانت مهمته حفظ النظام وتنفيذ الأوامر، والقوة الثانية جيش الواجقات مهمته جمع الضرائب وحفظ النظام، أما القوة الثالثة فتمثلت في أمراء المماليك، وكان الغرض منهم موازنة قوة الباشا والجيش.

وبعد وفاة السلطان سليم الأول خلفه ابنه سليمان القانوني الذي عمل على إتمام خطة والده حيث انشأ ديوانين وأعطى رئاستهما للباشا، وعرفت بعدها مصر في فترة حكم سليم الثاني نوعا من

---

[1] يدل اسم المماليك على أصلهم فقد كانوا ارقاء مملوكين ثم صار الحكم إليهم وهم من الأتراك كانوا في الأصل جندا مأجورة، أو مبتاعة وبدأ استخدامهم في الجندية أيام العباسيين أوائل القرن الثالث الهجري ثم بدأوا يتدرجون في المناصب من أدانها إلى أعلاها حتى وصلوا كرسي الملك، ينظر: جورجي زيدان، مصر العثمانية، تر: محمد حرب، القاهرة : دار الهلال، ص: 44.

[2] المرجع نفسه، ص: 86.

[3] صلاح أحمد الهريدي علي، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1517 . 1582م، (د ط)، 1999م، ص: 61

الهدوء[1]، ثم دخلت مصر مرحلة من الاضطراب من 1687. 1703م، حيث استغل المماليك تراجع أحوال الدولة العثمانية، فتزايد نفوذهم وانقسمت قوتهم إلى حزبين هما المماليك القاسمية نسبة إلى قاسم بك، والفقارية نسبة إلى ذي الفقار بك[2]، وأخذوا يتدخلون في الأمور السياسية كعزل الحكام، خاصة مع تطور وزيادة أهمية المناصب التي كانوا يشغلونها كمنصب مشيخة البلد، وإمارة الحج، وإمارة الصعيد الذي استخدموه كسلاح اقتصادي لمنع الغلال وصول المحاصيل الزراعية للقاهرة، ونتيجة لذلك ضعف الحكم العثماني بمصر ليصبح شكليا فقط، حيث أصبح المماليك يتدخلون في تنصيب الباشوات وعزلهم وحتى قرارتهم[3].

أ. الحملة الفرنسية على مصر وآثارها:

كان طموح نابليون بونابرت تشكيل إمبراطورية فرنسية في الشرق، وضرب مصالح انجلترا في الهند، وتجسيدا لهذه الفكرة نزل نابليون شواطئ مصر في أول جويلية 1798م، وانتصر على جيوش المماليك بعد أن استهلكت قواتهم في النزاعات الداخلية بينهم في واقعة الأهرام الشهيرة في 21 جويلية 1798م، لكن انجلترا تعقبت الأسطول الفرنسي وقضت عليه، وكانت هذه الضربة القاضية لمطامع نابليون في المشرق، حيث قطع الأسطول الإنجليزي المواصلات بين الجيش الفرنسي بمصر وبلده[4]، وواصل المماليك دفاعهم عن القاهرة، وكان من أبرز نتائج الحملة أنها كونت مصر الحديثة بقضاء الفرنسيين على فرسان المماليك وإضعاف نفوذ العثمانيين[5] مما مهد لظهور محمد علي باشا، وبعد خروج القوات الفرنسية من مصر في 1801م تصارعت على السلطة قوات كل واحدة تريد أن تستأثر بحكم مصر، أولها انجلترا التي طردت الفرنسيين من مصر وأرادت البقاء فيها، لكن خوفها من رد فعل

[1] جورجي زيدان، المرجع السابق، ص، ص : 109 . 110.

[2] صلاح أحمد الهريدي علي، المرجع السابق، ص: 220.

[3] المرجع نفسه، ص، ص: 219 . 220.

[4] كمال حسنة، العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطان سليم الثالث، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2005 . 2006م، ص: 109.

[5] صلاح أحمد الهريدي علي، المرجع السابق، ص: 325.

الدولة العثمانية، وما قد يترتب عنه من تقارب عثماني فرنسي جعلها تتخلى عن الفكرة وتسلك طريقا غير مباشر لتحقيق نفوذ بمصر، وثاني قوة تمثلت في الدولة العثمانية التي أرادت هي الأخرى بسط حكمها المطلق على مصر بعد خروج الفرنسيين 1801م، لأنها ضمتها إلى ترابها بالسيف فأعطت تعليمات لوالي مصر تقضي بإبادة المماليك، وثالث قوة هي قوة المماليك الذين أصابهم الضعف نتيجة الحملة الفرنسية[1].

في حين أن المصريين وهم أصحاب البلاد الفعليين الذين تصدوا لجيش نابليون ووجدوا أن قوة الدولة العثمانية قد وهنت ولم تعد قادرة على حمايتهم من التنافس الفرنسي الإنجليزي، وأن المماليك ضعف كيانهم، أما القوات الانجليزية فإنها سترحل عن البلاد عاجلا أم آجلا، فاستعدوا لتقرير مصير بلادهم، ومن هنا تبدأ شخصية محمد علي بالظهور، حيث تفطن هذا الأخير لقوة المصريين أصحاب البلاد، فبدأ بربط علاقاته مع زعمائهم ونتيجة لذلك قام المصريين بطلب توليته عليهم، دون أن يصدر فرمان من الباب العالي وهذا يدل على ما بلغته اليقظة المصرية في ذلك الوقت.

وبعد وصول محمد علي للسلطة في جويلية 1805م عمل على توطيدها، خاصة بعد تفرق نفوذ المماليك، وكانت أول خطوة هي إخراج الإنجليز من الإسكندرية، وبدأ محمد علي باشا يضع أسس بناء الدولة الحديثة بمصر فقوى جيشها وأسطولها، وبهذا أصبحت مصر أقوى دولة في المنطقة، وأخذ يسعى إلى تكوين إمبراطورية وبدأت أطماعه التوسعية في الظهور على حساب الدولة العثمانية فاستولى على الشام والحجاز في 1831م وبسط نفوذه في المنطقة[2]، لكن انجلترا والدولة العثمانية تدخلتا، فانجلترا حاولت منع محمد علي من تحقيق مشروعه، لأنها كانت تريد الحفاظ على كيان الدولة العثمانية لإبقاء التوازن في أوروبا، في حين كان السلطان العثماني عبد المجيد يريد أن ينهي النزاع بينه وبين محمد علي بطريقة سلمية، لكن الدول الأوربية متمثلة في إنجلترا، فرنسا، النمسا، روسيا وبروسيا، رفضت أي اتفاق سلمي بين السلطان ومحمد علي باشا، وقدمت مذكرة مشتركة في

[1] صلاح أحمد الهريدي علي، المرجع السابق، ص، ص: 337 339.

[2] المرجع نفسه، ص: 341.

27 جويلية 1839م، بأن لا يعقد أي اتفاق بينا .لسلطان العثماني وبين محمد علي باشا وانتهى المر بعقد مؤتمر للدول الأربعة ممثلة في انجلتر، روسيا، بروسيا والنمسا دون حضور فرنسا، وانتهى المؤتمر بعقد معاهدة لندن في 15 جويلية 1840م، تعهدت فيه الدول الأربعة، بمساعدة السلطان وإخضاع حمد علي، وتضمن الملحق المرفق بالمعاهدة المسائل التي تعهد السلطان العثماني بعرضها على محمد علي باشا، كأن يخول له حكومة مصر وولاية عكا طول حياته وترث أسرته حكم مصر، وأن يكون لمصر حق الاستقلال الداخلي، ولكي تضع هذه الدول المعاهدة موضع تنفيذ تحركا الأسطولان الإنجليزي والنمساوي لإنهاء نفوذ محمد علي باشا بالمنطقة، وانسحب محمد علي من الشام والحجاز وتعرضت مصر على إثر ذلك إلى عقوبات منها منعها من بناء السفن وتحديد عدد أفراد جيشها[1].

أصبحت مصر ولاية عثمانية سنة 1517م، وعرف الحكم العثماني بها في بداياته نوعا من الاستقرار خاصة مع عهدي السلطان سليم الأول وابنه السلطان سليمان القانوني، لكن بدأ النفوذ العثماني يضعف بالمنطقة، ومنذ عام 1600م بدأ تزايد نفوذ القوى المحلية للمماليك في مصر حتى القرن الثامن عشر حيث أصبح وجود الباشا شكليا فقط، وأصبح المماليك أهل الحل والعقد بمصر، واحتدمت الصراعات بينهم على السلطة، ومع الحملة الفرنسية على مصر التي خلفت نتائج كان أبرزها القضاء على نفوذ المماليك وظهور مصر الحديثة على يد محمد علي باشا.

2. الحياة الثقافية بمصر خلال الفترة الحديثة:

تصور الفترة الحديثة من تاريخ مصر على أنها فترة انحطاط، وهذا عائد إلى عدة عوامل منها أن العقد الأخير للحكم العثماني المملوكي شهد أزمات وصراعات سياسية وعسكرية شديدة، كما ساءت الأحوال الاجتماعية فعانى الناس من المجاعات والأوبئة وظلم الحكام، كما أن بعض الكتاب روجوا لهذه الصورة لتدعيم اعتقاداتهم بأن النموذج الأوروبي هو الأمل الوحيد للتقدم، ودامت هذه النظرة إلى أن ظهرت دراسات جاءت بمعلومات وآراء جديدة تكشف أن مصر في هذا العهد لم تكن بهذا القدر من الانحطاط، بل كانت هناك مراكز ومؤسسات نشطت الثقافة والحياة العلمية، وعرفت

[1] صلاح أحمد الهريدي علي، المرجع السابق، ص، ص: 393 394.

مصر أواخر الفترة مجموعة من التغيرات السياسية التي تمخض عنها وعي جديد أخرج بعض الكتاب المتميزين، إلا انه لم يبلغ مستوى الظاهرة المؤثرة ثقافيا في المجتمع، واسهم انتشار الأمية وضعف مستوى التعليم في اقتصار المشهد الثقافي على فئة معينة، واقترن التعليم في مصر بالمدارس الدينية واقتصر نشاطها على البعدين الديني والخلقي، وكانت بذلك الصورة المتناقلة عن مصر تحت الحكم العثماني (1517. 1867م)، صورة قاتمة تتسم بالفوضى والتدهور والتخلف خاصة في الجانب الثقافي[1].

أ. المؤسسات التعليمية في مصر:

عرفت المؤسسات التعليمية نشاطا عبر مراحل مختلفة بدأت من المؤسسات التعليمية الأولى كالكتاتيب وصولا لمرحلة التعليم من المستوى العالي، كجامع الأزهر بالإضافة إلى نشاط مؤسسات أخرى كالزوايا والمساجد.

الكتاتيب: يعتب الكتاب من أقدم دور التعليم التي عرفتها الدول الإسلامية، وقد انتشر هذا النوع من التعليم في جميع أنحاء مصر، وكان المكان الرئيسي لتعليم الصغار القرآن، والقراءة والكتابة والدين، ومن خلال وثائق المحكم الشرعية الخاصة بالعصر العثماني، يتبين لنا مدى تنافس الأفراد في إنشاء هذا النوع من المؤسسات التعليمية، بخلاف الأوقاف الكثيرة التي كانت ترصد على الكتاتيب، فهذا النوع من المؤسسات التعليمية نما نموا طبيعيا دون تدخل من جانب الحكومة.

أما نظام الدراسة بالكتاب فقد كان يبدأ في سن السادسة، واقتصر في هذه المرحلة على تحفيظ القرآن الكريم، وكانت طريقة حفظه تعتمد على التكرار والقراءة بصوت مرتفع، وحظي هذا النوع من التعليم باهتمام كبير لعدة اعتبارات أهمها التكلفة المنخفضة للتعليم بهذه المؤسسات.[2]

[1] ناصر عبد الله عثمان، قبل أن يأتي الغرب، الحركة العلمية في مصر في القرن السابع عشر، مصر: دار الكتب والوثائق القومية، (ط2)، 2012م، ص، ص: 13 . 14.

[2] المرجع نفسه، ص : 89.

وقد حظي الكتاب في العصر العثماني باهتمام كبير، وكان قاضي القضاة يقوم بنفسه على إحدى هذه المؤسسات، وتم رصد أكثر من تسعة وثمانين كتابا تضم التلاميذ الدارسين داخل مدينة القاهرة في العصر العثماني.[1]

الزوايا: هي أبنية للتعليم والصلاة والعبادة، وعرفت انتشارا واسعا في المجتمع المصري في العهد العثماني، وأقبل أفراد المجتمع رجالا ونساءا على وقف أموالهم عليها، وربما يرجع تفسير ذلك إلى انتشار التصوف في المجتمع، وفتحت هذه المؤسسات أبوابها لطلاب العلم، ومن أشهر الزوايا زاوية السادة الخلوتية برأس خان الخليل بالقاهرة، والزاوية الوفائية، وكان لهاتين الزاويتين مركز أدبي وثقل اقتصادي، واهتم سادتها بالعلم وتكوين المكتبات الخاصة مما دفع البعض إلى وقف مكتباتهم وما لديهم من الكتب على الزاوية.

ومن بين الزاوية التي اهتمت بالعلم زاوية الشيخ عمر البسطامي، وزاوية الشيخ خير الدين الكركي، وكانت الطرق التربوية المتبعة التي يلتزم بها المؤدب في هذه الزوايا لتعليم الأطفال متمثلة في تحفيظ القرآن الكريم بالتلقين والكتابة والمراجعة لهم، وتلقينهم مبادئ الدين المختلفة[2]، ومن أهم الزوايا التي عرفتها القاهرة زاوية الخضري والزاوية القريبة من المشهد الحسيني، والزاوية الملحقة بالجامع الكبير بالمنصورة[3].

الخوانق[4]: وضعت الخانقة في الأصل كمكان يختلي فيه الصوفية للعبادة، منها ما خرج عن مهمتها الأساسية ومارست نشاطا تعليميا يعد التعليم في هذا النوع من المؤسسات متخصصا بالأحاديث النبوية الشريفة وروايتاها، فضلا عن التعاليم الصوفية، ونلاحظ أن مصطلح الخانقة قد اندثر مع الزم، وأطلق عليه اسم "التكية"، ومن الخوانق أو التكايا التي مارست النشاط العلمي في تلك الفترة تكية

[1] ناصر عبد الله عثمان، المرجع السابق، ص 92.

[2] المرجع نفسه، ص، ص: 95 . 97.

[3] لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1518. 1830م)، دار سنجاق الدين للكتابة، 2009م، ص:265.

[4] كلمة فارسية معناها بيت وجعلت للخلوة والتعبد، واندثر هذا الاسم بمرور الزمن وأطلق عليها اسم التكية والتكايا أماكن لإقامة الدراويش من الأعاجم، ينظر: ناصر عبد الله عثمان، المرجع السابق، ص: 98.

سليمان باشا، وكان يقوم على التعليم بها الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الدايم ابن الشيخ الرفاعي، والشيخ فضل الدين بن المنا علي النقشبندي[1].

ويبدوا أن الجوانب الدينية والاجتماعية من إيواء الفقراء والمنقطعين، قد غلبت على الجوانب التعليمية في هذا النوع من المؤسسات، وقد يرجع إقبال هذه الخانقاوات على التعليم أو انصرافها إلى الصفة التي أرادها الواقفون على ومن يزودونها بالأموال[2]

المساجد: يعد المسجد من أهم المؤسسات التعليمية التي شهدت نشاطا تعليميا ملحوظا بمصر، سواء بالقاهرة أو ما جاورها من أقاليم، فقد وجد بمصر الكثير من المساجد الكبيرة والمشهورة التي مثلت مراكز للفكر ولإشعاع، درست بها علوم كالقراءات، والحديث الشريف، والفقه على مختلف المذاهب الشافعي الحنفي والحنبلي، وجلس بها العلماء والطلاب ومن بين المساجد التي اكتسبت شهرة في مجال التعليم الجامع الحسيني الذي كانت تدرس فيه علوم شتى كالفقه، والتفسير، والحديث، وممن كان يدرس به الشيخ أبو السرور الصديقي الذي ألقى به درسا في علم التفسير أمام وزير مصر محمد باشا[3].

ومن المساجد التي مارست النشاط التعليمي ابان تلك منها جامع عمرو بن العاص بالقاهرة، مسجد الشيخ بدر الكاين بروضة مصر القديمة بالقرب من النيل، والمسجد الواسطي ببولاق، مسجد الشيخ أحمد الزاهد خارج الواقع بخط المقدس خارج القاهرة، ومسجد المغاربة الكائن بباب الشعرية[4]، أما جامع الزهر فقد احتل الصدارة في مصر بل وفي العالم الإسلامي[5].

وهكذا كانت القاهرة تزخر بعدد كبير من المساجد لتي كانت تمارس نشاطا تعليميا رائجا في تلك الفترة، ولم يؤدي ظهور المدارس وانتشارها بأعداد كبيرة إلى تعطيل دور المسجد في أداء رسالته

[1] ناصر عبد الله عثمان، المرجع السابق، ص : 98.

[2] المرجع نفسه، ص: 99.

[3] المرجع نفسه ، ص: 101.

[4] ناصر عبد الله عثمان، المرجع السابق، ص: 101.

[5] لزغم فوزية، المرجع السابق، ص، ص: 265 . 266.

التعليمية، كما اتضح لنا من خلال المناهج التي كانت تدرس بالمساجد آنذاك ان المرحلة التعليمية بالمسجد كانت تعد من مراحل التعليم العالي مثلها في ذلك المرحلة التعليمية بالمدرسة.

المدارس: فور بسط العثمانيين نفوذهم على مصر وإرساء مقاليد الحكم، أقدمت الإدارة العثمانية على اتخاذ أشهر المدارس التعليمية لتكون مقرا للمحاكم الشرعية بمصر، ومن ذلك عندما اتخذت الدار الحديث "المدرسة الكاملية" لتكون مقر لمحكمة القسمة الغربية، و"المدرسة الصالحية" مقرا للمحكمة الصالحية.

وقد وجدت في القرن السابع عشر حوالي واحد وستون مدرسة بالقاهرة فقط، الأمر الذي يبطل الرأي القائل أن الحركة العلمية انطفأت بقدوم العثمانيين، وأنها اقتصرت على الأزهر فقط، وعرفت القاهرة العديد من المدارس منها القديم كمدرسة الأشرفية، ومدرسة الصرغتمشية، والمدرسة الصلاحية، أما الحديثة منها كمدرسة أبي الذهب التي أنشأت سنة 1139هـ/ 1775م،[1] ومن بين المدارس التي نشطت في علم الحديث والقرآن الكريم والفقه والتعليم الديني "مدرسة الأمير مصطفى" المطلة على النيل[2]، ومدرسة "محمد باشا أبو النور" أنشأها الوزير محمد باشا أبو النور، و"مدرسة إسماعيل" التي أنشأها إسماعيل باشا الوزير سنة 1795م، ورتب لها اثنا عشر طالب من المذاهب الأربعة، واثنين من الطلبة لقراءة صحيح البخاري[3]، واستمرت هذه المدارس في مواصلة مسيرتها العلمية والثقافية.

وكانت هذه المدارس تحصل على ريعها من الأوقاف فتنفق على المعلمين والطلاب ومن ذلك المدرسة الجنبلاطية، والمدرسة الجانبكية، والمدرسة الجوهرية، والمدرسة البقرية، وغير ذلك من المدارس

[1] لزغم فوزية، المرجع السابق، ص 264.

[2] نيللي حنا، ثقافة الطبقة الوسطى في مصر العثمانية (ق 16. 17م)، تر: رؤوف عباس، مكتبة الأسرة والأعمال الفكرية، 2004م، ص: 107

[3] ناصر عبد الله عثمان، المرجع السابق، ص : 107.

الأخرى، وتعتبر هذه الأوقاف ترجمة صادقة لمدى اهتمام أفراد المجتمع بهذه المؤسسات التعليمية وحرصها على النهوض بها[1].

ب. الحياة العلمية بمصر في عهد محمد علي باشا:

شرع محمد علي باشا في الإعداد لإقامة دولة حديثة، وأدرك أن حركة التجديد لا يمكن أن تبدأ إلا بالتعليم، واستلهم من حملات التجديد التي كانت تجري في اسطنبول، وكان الجانب الأهم في تلك الحملات هو إقامة المدارس العسكرية والمدنية تلبية لحاجة البلاد، ومن أهم المدارس التي أنشأت هي مدرسة المهندس خانة التي أقيمت محاكاة للمهندس خانة في اسطنبول، وقام محمد علي باستدعاء حسن أفندي الموصلي ليؤطر التعليم الهندسي الذي بدأ في القلعة بنحو ثمانين شخصا من المصريين والأتراك عام 1816م، ثم استدعى بعد ذلك من اسطنبول أيضا روح الدين أفندي الذي بدأ تعليم الرياضيات بالتركية، وتم خلال تلك المرحلة استجلاب الكتب اللازمة للمدارس من اسطنبول، وبدأت المدرسة الإعدادية العسكرية نشاطها في قصر العيني 1825م، كانت مهمتها تخريج التلاميذ للمدارس المدنية والعسكرية المختلفة وعرفت باسم "التجهيزية الحربية"، وقد ضمت عددا من التلاميذ يتراوح بين 500 . 600 تلميذ، تتراوح أعمارهم بين 12 و16 سنة، وكانت المواد التي يجرى تدريسها في تلك المدرسة الحساب والهندسة والجبر، وهذه الدفعة من الطلاب شكلت الدفعة الأولى من ضباط الجيش الذي تشكل في مصر، وكذلك شكلوا الدفعة الأولى من موظفي الإدارة[2].

وتدلنا عمليات التنظيم التي أجريت أن التعليم في هذه الفترة كان يمر بثلاثة مراحل الأولى وهي الابتدائية، أقيمت لها خمسون مدرسة تستوعب 5500 تلميذ، وكان الهدف منها نشر المعرفة بين الأهالي، أما المرحلة الثانية فهي المرحلة التجهيزية التي أقيمت لها مدرستين الأولى في القاهرة، والثانية في الإسكندرية، ووظيفتها إعداد الطلاب للالتحاق بمدارس التخصص وتضم الأولى 1500تلميذ، والثانية 500 تلميذ، أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة التخصص، وتضطلع بها مدارس الطوبجية والسواري

[1] نيللي حنا، المرجع السابق، ص : 115.

[2] أكمل الدين إحسان أوغلي، الأتراك في مصر وتراثهم الثقافي دراسة تحليلية وثبت ببليوغرافي لإرثهم المطبوع منذ عهد محمد لي، تر: صالح سعداوي، القاهرة : دار الشروق، 2011م، ص، ص : 173 . 174.

والبيادة، التي ستقام بقصد تنشئة المهندسين للعمل ضباطا فنيين وموظفين رسميين، ومدرسة الألسن التي ستقام لتنشئة المترجمين المجيدين للعربية والتركية والفرنسية.

وفي مدارس المرحلة الأولى كان يجري تدريس القراءة والكتابة العربية للتلاميذ وتعليمهم النحو والحساب والدين، ولم تكن اللغة التركية مقررة فيه إلا للتلاميذ الأتراك، أما التلاميذ المصريين فلم يكونوا مكلفين في تلك السن المبكرة بتعلم أي لغة أجنبية[1]، أما مدارس المرحلتين الثانية والثالثة فكانت الدراسة فيها بالتركية، وكتب التدريس في الفترة المبكرة كانت تأتي من اسطنبول[2].

وأقام الفرنسيين مدارس بمصر، كمدرسة البيطرة 1830م، والولادة 1832م، والطب 1872م، التي أقامها الطبيب الفرنسي كلوت بك، وكانت الدروس في هذه المدارس تلقى بالفرنسية، ثم يقوم المترجمون السوريون والتونسيون إلى نقلها للعربية، واستمر الوضع على هذه الحال مدة طويلة نسبيا حتى تكون أطباء مصريين درسوا الطب في باريس ليحلوا محل الأطباء الفرنسيين، وظل التعليم جاريا باللغة العربية وحدها حتى الاحتلال الإنجليزي لمصر سنة 1882م[3].

ترك الحكم العثماني الذي امتد ثلاثة قرون آثارا على الحياة السياسية والثقافية في مصر، وتمازج مع الموروث الثقافي المصري، فاكتسبت الثقافة المصرية تلك الصبغة الدينية من حيث طريقة التعليم ونمطه ومؤلفات ذلك العصر وعلمائه واهتماماتهم، وانطلاقا من هذا النظام التقليدي شرع محمد علي في حركة التجديد، فاستطاع بأسلوبه العلمي أن يخلق بمصر حركة تحديثية، وهذا التحديث كشفا عن نفسه في المجال الثقافي بإقامة المؤسسات التعليمية والمطابع والمكتبات.

[1] أكمل الدين احسان أوغلي، المرجع السابق، ص : 128.

[2] المرجع نفسه، ص، 125.

[3] المرجع نفسه، ص : 122.

3. الوضع السياسي بالحجاز خلال الفترة الحديثة:

بعد أن تمكن السلطان سليم الأول من السيطرة على الشام ومصر وضمهما إلى الدولة العثمانية، توجهت أنظاره إلى الحجاز، نظرا لمكانتها الدينية الروحية وسعيا منه لتقوية مكانته في العالم الإسلامي، وفي نفس الوقت كان شريف مكة أبو البركات الهاشمي يسعى للحصول على رضا السلطان العثماني المنتصر، فأعلن ولائه للعثمانيين[1]، وسلم ما كان بيده من الآثار الشريفة للسلطان،[2] كمفاتيح مكة المكرمة والمدينة المنورة إضافة للأمانات المقدسة الأخرى كالراية الشريفة والبردى الموجودة لدى الأشراف، فلم يكن أشراف مكة سوى حكام تحت السيطرة المملوكية، وامتناعهم عن الخضوع للسلطان العثماني المنتصر سيلفت نظره خاصة وأنه كانت توجد حامية عسكرية مملوكية بجدة، وهذا الأمر جعل شريف مكة يتخوف من لفت أنظار العثمانيين مما سيؤدي إلى حرمانه من مكانته السياسية، والفوائد الاقتصادية، فبادر إلى إعلان ولائه للسلطان سليم الأول، وبهذا تلاقت أهداف الشريف أبي البركات مع تطلعات السلطان سليم الأول الذي حافظ على استقلال الحجاز الذاتي كاملا، والاحتفاظ بوضعه الخاص والحقوق الموروثة للسلطة الهاشمية، ولم يتعرض السلطان سليم الأول للإدارة الداخلية، وأصبح الحجاز تحت الراية العثمانية، مع الإبقاء على حكم الأشراف[3].

ومنذ النصف الأول من القرن السابع عشر، تنازع على السلطة في الحجاز ثلاث أسر من نسل الشريف أبي نمى بركات الثاني (1525 . 1566م)، وهم زيد وعبد الله وبركات، وتمكنت أسرة زيد منذ عصر زيد (1631. 1666م) من فرض نفسها بتولي الحكم، وجراء هذا النزاع تدهورت الأوضاع

[1] محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة، بيروت: دار النفائس، (ط2)، 2013م، ص:175.

[2] لزغم فوزية، المرجع السابق، ص : 263.

[3] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص، ص: 175 . 176.

السياسية والاقتصادية بالحجاز، وحتى الدينية بالبعد عن تعاليم الدين الإسلامي وظهور البدع[1]، ووسط هذا التردي في الأوضاع ظهرت الحركة السلفية مع محمد بن عبد الوهاب[2] الذي دعا للعودة إلى الأصول الصحيحة والالتزام بمنهج السلف الصالح، وبدأ في نشر دعوته فتوجه إلى البقاع المقدسة ثم البصرة[3] ثم انتقل إلى درعية، التي كان يحكمها آل سعود سنة 1157هـ/ 1744م، واعتنق محمد بن سعود الدعوة الوهابية، ومنذ هذا الوقت تحولت الحركة الوهابية إلى حرك سياسية، وأتحد مع أمير الدرعية محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومن هنا تشكلت النواة الأساسية للدولة السعودية الأولى بعد كفاح طويل ومرير استغرقت مدته أكثر من ستون سنة ضد العثمانيين، وتم توحيد بلاد نجد، وضم الأحساء عام 1793، ثم الحجاز عام 1803م[4]، وعملت هذه الدولة على إعادة الأمن والاستقرار إلى ربوع الجزيرة العربية[5].

لكن الدولة العثمانية رأت في انتصار الدعوة والوهابية السلفية بقيادة آل سعود، خروج عن طاعة السلطان، وانفصال عن الدولة العثمانية، وبالتالي فقدان أهم دعائم مركزها في العلم الإسلامي، أي فقدان شرف حماية الحرمين الشريفين في مكة والمدينة المنورة[6]، فكلفت واليها على بغداد بمهمة القضاء على هذه الدولة الفتية لكنه فشل في ذلك، مما أدى بالأمير السعودي سعود بن عبد العزيز

---

[1] عبد الرؤوف سنو، النزاعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية (1877. 1881م) بلاد الشام –الحجاز– كوردستان– ألبانيا، بيروت : بيسان للنشر والتوزيع، (ط1)، 1998م، ص: 88.

[2] هو محمد بن عبد الله الوهاب بن سليمان بن محمد بن احمد التميمي ولد سنة 1115هـ/ 1703م، في بلدة العية بنجد، اشتغل بفكرة التوحيد وعكف على مطالعة الكتب المأصلة، ثم شرع إلى الدعوة وإنكار ما يفعله الناس من البدع، وتبعه الناس وصنف مؤلفه "كتاب التوحيد" وأسس مذهبه الوهابي ينظر: فقيقي محمد الكبير، الحركة الوهابية في كتابات المغاربة (1157. 1364هـ/ 1745. 1945م)، أطروحة مقدمو لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014–2015م، ص: 17.

[3] فقيقي محمد الكبير المرجع نفسه، ص : 17.

[4] فقيقي محمد الكبير، المرجع السابق، ص : 29.

[5] عايض بن حزام الروقى، حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية 1247 .1255هـ/ 1831 . 1839م، 1414هـ، ص: 15، (هذا الكتب في الأصل أطروحة علمية لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى مكة المكرمة).

[6] المرجع نفسه ، ص: 17.

بشن هجوم على العراق سنة 1801م[1]، ولما فشلت المحاولات العراقية في القضاء على الدولة السعودية الأولى، كان للدولة العثمانية ما أرادت على يد محمد علي والي مصر الذي أطاح بالدولة السعودية الأولى سنة 1233هـ/ 1818م[2]، وتولى إبراهيم باشا حكم المنطقة لمدة تسعة أشهر تميزت بالتعسف[3]، إلى أن قامت الانتفاضات السعودية ضد الحكم التركي المصري في نجد، واستطاع فيصل بن التركي عبد الله آل سعود أن يؤسس دولة أعاد بها توحيد معظم أجزاء الدولة السعودية الأولى[4]، وتأسست الدولة السعودية الثانية سنة 1256هـ/ 1840م. والتي استمرت إلى سنة 1369/ 1891م[5].

نظرا للأهمية التي تمتعت بها منطقة الحجاز شهدت في البداية صراعا مملوكيا عثمانيا لبسط السيطرة، تكلل باستيلاء العثمانيين على المنطقة التي شهدت صراعا للأسر الحاكمة فيه على الإشراف، ثم شهدت المنطقة ميلاد الدولة السعودية الأولى، وكل هذه التطورات السياسية أثرت على مختلف جوانب الحياة وفي مقدمتها الحياة الثقافية.

4. الحركة العلمية بالحجاز خلال الفترة الحديثة:

كانت مكة والمدينة المنورة مركزين مهمين من مراكز العلم في الدولة الإسلامية، بالخصوص بعد الفتح العثماني، فنشطت الحركة العلمية بهاتين الحاضرتين[6]، نتيجة التقاء طلبة العلم والعلماء الذين وفدوا من مختلف بقاع العالم الإسلامي، الأمر الذي أدى إلى إثراء الحركة العلمية بها، كما أسهم وجود الحرمين الشريفين المسجد الحرام بمكة المكرمة، والمسجد النبوي بالمدينة المنورة في الانفتاح على العلم[7]، فكانت هذه المنطقة تفتح أبوابها للحجاج والمعتمرين، وكان من بين هؤلاء علماء وأدباء

---

[1] عايض بن حزام الروقى، المرجع السابق، ص: 23

[2] سهيل طقوش، المرجع السابق، ص : 15

[3] المرجع نفسه، ص : 16

[4] مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، جدة: دار الشروق، (ط1)، 1980م، ص:57

[5] فقيقي محمد الكبير، المرجع السابق، ص : 24.

[6] لزغم فوزية، المرجع السابق، ص: 268.

[7] عواطف بنت محمد يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنيين 11و 12 هـ، الرياض(المملكة العربية السعودية): دار الملك عبد العزيز، 1429هـ، ص: 485.

مارسوا التدريس والفتوى سواء في طريقهم إلى البقاع المقدسة أو عند وصولهم، ومنهم حتى من أقام بالمدينتين المقدستين للمجاورة[1].

أ. التعليم بالحجاز خلال الفترة الحديثة:

كان للتعليم دور مهم في إثراء الرصيد الثقافي بالحجاز فعرفت هذه المنطقة حركية في التعليم بمختلف مستوياتها، فكانت الكتاتيب نشكل نواة المؤسسات التعليمية، وبلغ عددها في مكة في القرن الثالث عشر هجري (ق 19م) ثلاثة وثلاثون كتابا، بها حوالي 1150 متمدرس، وهذا جاء في أول تقرير رسمي للحكومة العثمانية عن ولاية الحجاز، وأخذ عدد الكتاتيب في الازدياد[2].

ومما أسهم في تنشيط الحياة الفكرية بالحجاز تشييد العثمانيين للعديد من المدارس وأولو العناية بها فتعددت، وكان يتم الإنفاق عليها من عائدات الأوقاف، ويرصد ريعها لدفع رواتب القائمين عليها من طلبة ومدرسين، كما حرصت الدولة العثمانية على زيادة أعداد هذه المدارس وتنشيطها[3]، وأهمها مدرسة الأشراف قايتباي بالمدينة المنورة، والمدرسة السنجارية بالمدينة المنورة، ومدرسة الوزير محمد باشا، والمدرسة المرادية التي أسسها السلطان مراد الثالث (982 . 1003هـ)، مدارس السلطان سليمان (926 . 974هـ)، والتي كانت تدرس بها المذاهب الأربعة، أولها المدرسة المالكية السليمانية وهي أرقى المدارس الأربعة، عين عليها القاضي حسين الحسني، والمدرسة الشافعية عين عليها الشيخ القطبي كمدرس، والمدرسة الرابعة كانت من المفترض أن يدرس فيها المذهب الحنبلي، ولعدم وجود عالم في الفقه الحنبلي جعل منها دار للحديث، كما لقنت بعض العلوم والدروس في المساجد وبعض

[1] خالد حسن الجوهي، الحياة العلمية في الحرمين الشريفين في القرن العاشر هجري –دراسة–، جامعة الملك سعود، 2010م، ص:21

[2] عبد اللطيف بن دهيش، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، مكة المكرمة: مطبعة النهضة الحديثة، (ط1)، 1986م، ص، ص11، 12.

[3] خالد حسين الجوهي، المرجع السابق، ص: 31.

منازل العلماء[1]، ومن العلوم التي كانت تلقن في هذه المراكز الفقه والتفسير إلى جانب علوم أخرى كالحساب والهندسة والطب[2].

كما لعبت المساجد دورا تعليميا بارزا من خلال حلقات التدريس التي كانت تقام بها، خاصة الحرمين الشريفين، حيث كان العلماء يرون أن التدريس بهذه المراكز أفضل من التدريس بالمدارس، لأن التدريس بالمساجد لا يحتاج إلى أمر تعيين أو تكليف لمن يقوم به، حتى الطلاب لم يكونوا مقيدين حيث كانت المساجد مفتوحة أمام كل من يرغب في طلب العلم، وما عليه إلا الانضمام إلى الحلقات المنتشرة في المساجد، وكانت تعقد هذه الحلقات في المسجد الحرام في أروقته وعند المقامات الأربعة، وعند مقام إبراهيم عليه السلام، وحجر إسماعيل، أما بالمسجد النبوي فكانت تعقد حلقات التدريس عند أبواب المسجد وفي الروضة الشريفة، وخلف الأعمدة، وداخل الأروقة، وفي الحجرة النبوية، أما عن أوقات التدريس فكانت باختيار العلماء القائمين على التدريس[3].

لقد كان للعثمانيين دور كبير ومهم في تطور الحركة العلمية في الحرمين الشريفين ومنطقة الحجاز، وأضافوا إلى المنطقة حياة علمية من خلال توسعهم في إنشاء المدارس، ولعل أهم شاهد هو المدارس السليمانية، بالإضافة إلى الدعم المالي المقدم من طرف العثمانيين الذي كان له الأثر المهم في انتعاش الحياة العلمية في الحرمين الشريفين، كما كان للاهتمام المتزايد بالعلماء والأئمة دور في تنشيط الحياة الثقافية بالمنطقة.

وعرف المشرق الإسلامي في الفترة الحديثة مراكز علمية أخرى قامت بهمة التعليم ونشطت الحياة الثقافية غير انها لم تكن في مستوى المراكز العلمية التي حظيت بها القاهرة ومكة والمدينة المنورة[4]، ومن هذه المراكز نذكر الإسكندرية بمصر وبيت المقدس دمشق اسطنبول، وبالرغم من هذا

[1] عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص: 496.
[2] المرجع نفسه، ص: 502.
[3] خالد حسين الجوهي، المرجع السابق، ص: 43.
[4] لزغم فوزية، المرجع السابق، ص: 270.

التنوع والتعدد للمراكز الثقافية العلية بالمشرق الإسلامي إلا أن الحياة الثقافية وصفت بالتراجع أيام العثمانيين.

ورغم الاختلاف السياسي بين أقطار المشرق التي كانت تحت حكم الدولة العثمانية والمغرب الأقصى الذي كانت تحت كم الأشراف العلويين، إلا أنه لم تختلف الأوضاع الثقافية بين المشرق والمغرب الأقصى، فتماثلت عناصر الحياة الثقافية في معظم الأقطار الإسلامية سواء من حيث التعليم وأساليبه ومراحله والمقررات الدراسية، وحتى حركة التأليف والاهتمامات العلمية لعلماء العصر، فاحتلت العلوم الدينية والنقلية الصدارة من حيث الاهتمام بها، فيما عرفت العلوم العقلية كالحساب والرياضيات والهندسة إهمالا، مما جعل الفضائيين المغرب الأقصى والمشرق الإسلامي يجتمعان في قواسم ثقافية مشتركة ربطت القطرين.

الفصل الثاني

الحج ودوره في تعزيز التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق خلال الفترة الحديثة

المبحث الأول: العلاقات الفكرية بين علماء المغرب والمشرق من خلال الحج.

المبحث الثاني: الإجازات العلمية المتبادلة بين علماء المغرب وعلماء المشرق.

المبحث الثالث: المناظرات والقصائد الشعرية المتبادلة بين علماء المغرب والمشرق

للثقافة مفاهيم متعددة، عرفها مالك بن نبي في كتابه "مشكل الثقافة" بأنها مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه[1]، والحاصل أن الثقافة هي محصلة العلوم والمعارف والفنون والتقاليد والموروثات ولأعراف والعقائد التي تسوغ فكر الإنسان[2].

بينما يعرف التواصل بأنه غاية ومقصد للاستمرار وتبادل المنافع والمصالح والفوائد كيفما كانت مادية، اقتصادية أو معنوية مثل القيم الثقافية والأخلاقية والسلوكية، حيث أن استمرارية الوجود الإنساني يتطلب تضافر الجهود وتضامن الأفراد وتعاونهم[3]، ومنه فإن عملية التواصل الثقافي تعرف بأنها تبادل للثقافات وفروعها وأنساقها، تحاورا أو تعارفا أو تلاحقا، وهذا الاتصال يتم بين ثقافات متزامنة، أو بين أقاليم ثقافية معينة، ومنه فالتواصل ضرورة إنسانية وحضارية، وهي الصيغة المثلى للتعاطي مع المختلفين على المستوى المعرفي والثقافي، والتواصل هدفه بالدرجة الأولى الحوار والاستيعاب وإبراز المضامين الحضارية[4].

وكان السفر ولا يزال من ابرز أشكال التواصل بين أقطار العالم الإسلامي عامة، وبين المغرب الأقصى والمشرق بصفة خاصة، وليس من شك أن أداء فريضة الحج كانت من أعظم البواعث على سفر آلاف من المغاربة في كل عام إلى الحجاز للقيام بهذه الفريضة، وزيارة الحرمين الشريفين[5].

[1] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، بيروت (لبنان) : دار الفكر المعاصر، (ط4)، 1984م، ص: 41.

[2] محمد افرخاس ونادية صلاح محمد صديق، رحلات المغاربة إلى المشرق ودورها في تعزيز التواصل الثقافي، دبي: دائرة الشؤون الإسلامية، ص: 09.

[3] المرجع نفسه، ص07.

[4] محمد محفوظ، في معنى التواصل الثقافي، ضمن جريدة الرياض، العدد 153، أوت 2009م، ص: 2.

[5] محمد افرخاس ونادية صلاح، المرجع السابق، ص12.

وفي الفترة الحديثة استمر الحج في تعزيز التواصل الثقافي بين هذه الأقطار، فكان ركب الحج المغربي بمثابة إمارة متنقلة[1]، وكان المغاربة في طريقهم إلى الحجاز ينزلون بمنازل مختلفة لقضاء حوائجهم، أما العلماء والأدباء منهم فإنهم كانوا بعد قضاء الحوائج الضرورية لمعاشهم يسارعون إلى لقاء الشيوخ والعلماء بغرض الأخذ عنهم والسماع منهم، كما كانوا يحرصون كل الحرص على الحصول على المرويات النادرة والأسانيد العالية ويستعدون لحضور مجالس العلم لتصحيح أسمعتهم وتحقيق حسن فهم للمسائل العلمية الدقيقة، هو الهدف الثاني الذي كانوا يرمون لتحقيقه بعد أداء فريضة الحج[2].

[1] مولاي بلخميسي، الجزائر من خلال رحالات المغاربة في العهد العثماني، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (ط 2)، 1981م، ص25.

[2] عبد السلام بن مختار شقور، المناظرات والإنشادات في رحلات المغاربة الحجازية، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426هـ، ص99.

المبحث الأول: العلاقات الفكرية بين علماء المغرب والمشرق من خلال الحج:

تميز القرنان الحادي والثاني عشر الهجريين (ق17، 18م)، بظهور حركة فكرية نشيطة خاصة في الحجاز الذي كانت ولا تزال نقطة التقاء ومركز تجمع المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية، وتعتبر المدينة المنورة ومكة المكرمة أقوى مراكز نشر الثقافة الإسلامية والتواصل العلمي الثقافي، باستقطاب العلماء والفقهاء الذين وفدوا إليها من مختلف ربوع العالم الإسلامي، إذ فتحت لهم أبواب وساحات العلم وتهيأ لهم طلب المعرفة في رحاب الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة، ولقاء العلماء والاستزادة منهم، وساهمت المجاورة من طرف العلماء والأدباء والفقهاء الذين شدوا الرحال إلى البقاع المقدسة في إثراء الحركة الفكرية والأدبية بالحجاز وبذلك أصبحت هذه المنطقة بمثابة جامعة مفتوحة تستقطب الأساتذة الزائرين وتحتضن الطلبة المقيمين والوافدين[1].

1.المجالسات العلمية بين العلماء المغاربة والعلماء المشارقة:

حرص علماء المغرب ممن شدوا الرحال باتجاه الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة على لقاء العلماء والفقهاء والأدباء، وعملوا أثناء مدة قضاء فريضة الحج على تبادل المعارف والعلوم مع من جالسوهم من العلماء، وكان العامل الجغرافي يقضي على الحجاج أن يبقوا وقتا في مصر في طريقهم إلى الحج، ذهابا وإيابا مما كان يتيح لهم فرصة الاحتكاك بعلماء مصر.

وعرفت الفترة العلوية توافد العديد من علماء المغرب إلى المشرق قاصدين بيت الله الحرام بغرض تأدية فريضة الحج، ساعين لتحقيق مقاصد دينية ودنيوية، مستغلين الفرصة للقاء العلماء والأخذ عنهم والاستفادة منهم وإفادتهم، والاطلاع على مؤلفاتهم، وحضور حلقات العلم التي اغتنمها العلماء المغاربة لعرض رواياتهم أمام العلماء والمشايخ الذين كانوا يلتقون بهم في مكة بالخصوص، فكانوا يحرصون أثناء موسم الحج على الاستفادة، ويعتزون بالسند الذي يعودون به إلى بلادهم، وهم

[1] سعيد الفاضلي في مقدمة تحقيق للرحلة العياشية، لأبي سالم العياشي، تح: سعيد الفاضلي . سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، (ط1)، 2006، ص: 26.

يرددونه في مجالسهم العلمية، ويعود العلماء وهم يحملون ما تلقوه من علوم ومعارف، وكان العلماء المغاربة مولعين بالرحلة إلى المشرق.

يعد الشيخ أبو سالم عبد الله ابن محمد العياشي[1] الذي حج سنة 1072هـ/1662م وهو من أبرز العلماء الذين شدوا الرحال للمشرق، وأكثرهم اهتماما بالأخذ عن العلماء والفقهاء، إذ لم ينقطع خلال فترة تواجده بالقاهرة عن حضور دروس علماء الأزهر ومجالستهم في ذهابه وإيابه، ومن العلماء الذين جالسهم وأخذ عنهم شيخ القراء بالقاهرة ورئيس أهل التجويد الشيخ بن سلامة المزاحي سلطان (ت 1075هـ/ 1665م)[2] الذي انتفع العياشي بمعارفه، كما حضر عند نزول الركب المغربي بمصر درس الشيخ موسى القيلوبي المصري الذي تصدر الإفتاء والإقراء خلال قراءته لكتاب "الجامع الصغير" للسيوطي[3]، كما حضر ختمته للقرآن الكريم في شهر رمضان المعظم، وأخذ العياشي طرفا من إحدى رسائله لعلم الأوفاق[4]، وفي يوم التاسع والعشرين من شهر رمضان الكريم حضر ختمة دروس الشيخ إبراهيم اللقاني، وحضر تلاوات للقرآن الكريم، وسمع منه قصيدة في مدح الرَسُول صَلى الله عَليه وسَلم، ومن خلال هذه الجلسات تعرف على عادات علماء مصر في القراءة والإنشاد والدعاء، كما حضر ختمة كتاب الشيخ عبد القادر بن جلال الدين المحلي (ت 1071هـ/1661م) رفقة جمع من علماء الأزهر[5].

[1] أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن موسى بن محمد بن يوسف بن عبد الله العياشي، نسبة إلى قبيلة آيت عياش وهي قبيلة بربرية، من ابرز علماء المغرب اشتهر برحلته المسماة ماء الموائد، ينظر: ابوسالم العياشي، إقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر للقرن 11هـ/ 17م، تح: نفيسة الذهبي، منشورات كلية الآدب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1996م ط1، ص28.

[2] الشيخ سلطان: هو سلطان ابن سلامة المزاحي المصري، رئيس أهل تجويد بالقاهرة أجيز بالإفتاء والتدريس سنة 1008هـ/1600م وتصدر للتدريس بالأزهر حتى أصبح شيخا به ، ينظر: عبد الرحمان بن زيدان، المصدر السابق، ص: 146

[3] العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ص، ص: 229، 230.

[4] المصدر نفسه، ص: 244

[5] المصدر نفسه، ص: 232.

كما جالس العياشي قاضي المالكية بالقاهرة الشيخ عمر الفكرون، [1] وأخذ عنه أخبار وحكايات عن المجتمع المصري وعاداته، ، وتردد العياشي على معاهد القاهرة خلال تواجده بها، وحضر قراءات للشيخ إبراهيم شمس الدين الميموني (ت 1079هـ/1669م) مع بعض الطلبة الأتراك في "تفسير البيضاوي"[2]، واستفسر خلال هذا المجلس في أمر قراءة كتاب "شراح المفتاح" فدله على كتاب الملا سعد الدين (ت 1091هـ/ 1680م)[3]، كما حضر الشيخ العياشي وهو بمصر قراءة الميموني لمختصر السعد وسمع منه حكايات كثيرة عن أخبار الشيخ الغنيمي.[4]

وكان للعياشي لقاء بالشيخ أبو الحسن علي الشبراملسي الضرير في مسجد المغاربة، فحضر مجلس قراءة كتاب "المواهب اللدنية" للإمام القسطلاني واخذ عنه مفاهيم وأفكار متعلقة بالقراءة[5]، وجالس الشيخ السجتاني الذي حدثه عن خصال الشبراملسي ومعارفه، وجالس الفقيه الأزهري عبد الجواد الطريني وأطلع على جملة من رسائله في مسائل كثيرة أغلبها يتعلق بمعاني بعض الأحاديث، وكتب عن بعضه تقريضا حسنا، وجالس العياشي أيضا الشيخ علي الصوفي الذي كان مهتما بعلم السيميا وأسرار الأسماء، واستفسر من العياشي عن ذلك فأجابه هذا الأخير أن طريقة مشايخ الشاذلية عدم استعمال الأسماء والأذكار طلبا لفائدتها لا في الآجل ولا العاجل، ويكتفون بالتوكل على الله[6]، كما ظفر بمصر برسالة الشيخ محمد البكري يذكر فيها منازل الحج، وديارة ذهابا وإيابا، واقتطف من هذه الرسالة ما ينفعه[7].

[1] عمر الفكرون: تونسي الأصل له شرح مختصر للشيخ خليل في 4 مجلدات، ينظر العياشي، المصدر نفسه، ص: 233

[2] تفسير البيضوي: هو كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير للقاضي الإمام ناصر الدين أبي السعيد عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي، ينظر العياشي، المصدر نفسه، ص: 246

[3] الملا سعد الدين: هو الشيخ سعد الدين مسعود بن عمر التفتزاني، ينظر العياشي، المصدر نفسه ص: 246

[4] العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ص: 246.

[5] المصدر نفسه، ص:253.

[6] المصدر نفسه، ص:257.

[7] المصدر نفسه، ص 300.

وجالس الشيخ العياشي بمنى الشيخ سليمان بن الشيخ عبد العزيز حبشي من مدينة الأحساء، وتناقشا في هذه الجلسة فيما بينهما في علوم مختلفة وأخذ عنه معارف كثيرة طيلة تواجده في منى، كما التقى بالشيخ جمال الدين و أخذ عنه طريقة السادات النقشبندية، والتقى بالشيخ عيسى الثعالبي (ت 1080هـ/1670م)الجزائري الأصل المجاور بالحرمين الشريفين وتلقى منه الذكر عن طريق السادات النقشبندية، وأخذ منه كتاب "جمع الفرق لرفع الخرق"[1].

وممن قصد الحرمين الشريفين من علماء المغرب الشيخ أحمد بن يوسف الشريف السلجلماسي (ت1083هـ/1673م) الذي تلقى العلم على يد مشايخ المغرب، ثم رحل إلى المشرق وجاور هناك بالحرمين، وأخذ عن الشيخ سيف الدين أحمد القشاشي والتقى عنده بجماعة من كبار العلماء المشارقة وانتفع بهم[2].

ومن أبرز العلماء الذين قصدوا الحجاز الشيخ حسن بن مسعود اليوسي (1102هـ/ 1691م) رحل للحج سنة 1102هـ/1691م، وقد ذكر في فهرسته أنه سافر لبلاد الحجاز لطلب العلم[3]، وكذلك الشيخ محمد بن عبد الرحمن الصيني التازي (ت1116هـ/1705م) رحل إلى الحجاز وجالس علمائه كالشيخ البابلي (ت 1079هـ/1669م) حافظ الحديث في زمانه وأستاذ أهل الحرمين ومصر، والشيخ إبراهيم اللقاني وأخذ عنهم[4].

و ممن سافر للحجاز أيضا الشيخ الفقيه الأديب أحمد بن عبد القادر القادري الذي حج سنة 1083هـ/1673م، وجالس أيام إقامته بمصر الشيخ علي الأجهوري والشيخ عبد الباقي الزرقاني والشيخ محمد الخرشي[5]وانتفع بعلمهم، ويعتبر الشيخ أبو العباس أحمد بن العربي بن محمد ابن الحاج السلمي المرداسي (ت1109/1698م) من العلماء الذين رحلوا للمشرق سنة 1078م/1668م، فأخذ عن

[1] العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ص: 335.

[2] محمد حجي، المرجع السابق، ج4، ص: 1509.

[3] المرجع نفسه، ص:15017.

[4] المرجع نفسه، ص: 1895.

[5] المرجع نفسه، ص: 1971.

شيوخ كثيرين في مقدمتهم الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوي (ت 1101هـ/ 1690م)، والشيخ محمد الخرشي شارح "مختصر خليل"، والشيخ أبو الحسن علي الشبراملسي وغيرهم، وقد ضمن ذكرهم وأسانيدهم تلميذه ابن عبد السلام بناني في الفهرسة التي صنفها له[1].

كما رحل للمشرق الفقيه المتصوف محمد المدرع وتوجه للحج مرات عديدة وفي 1128هـ/1716م بقي مجاورا بالمدينة، وكان يزور ويجالس الشيخ عبد السلام بن مشيش والشيخ أبي يعزي ويأخذ عنهم[2]، وكذلك الشيخ محمد العياشي الرحماني (ت1149هـ/1737م) كان عالما وزاهدا أخذ عن مشايخ كثيرين بمصر، ثم توجه للحج فحج وجاور علماء وانتفع بهم وعاد إلى مصر وتوفي بها[3].

وممن انتفع بعلماء المشرق خلال رحلته الحجية الشيخ أبو القاسم بن سعيد العميري الجابري التادلي المكناسي قاضي مكناس، حج صحبة خنافة بنت بكار أم السلطان عبد الله، وسمع الشيخ التاج القلعي بمكة يحدث بحديث الأولية وأخذ عنه، [4]والشيخ أبو العباس أحمد بن مبارك اللمطي السلجلماسي (ت1156هـ/1743م) رحل للحج برفقة أبيه العباس الورزازي فأخذ عن علماء المشرق[5].

ومن ابرز العلماء الذين توجهوا إلى المشرق في الفترة العلوية الشيخ أبو العباس أحمد محمد بن ناصر الدرعي (ت1129هـ/ 1717م)وشكلت هذه المناسبة فرصته للاجتماع بالعلماء من مختلف الأقطار الإسلامية، ويبدوا ذلك من خلال ذكره لعدد العلماء الذين التقى بهم، فالناصري وبعد

[1] عبد الله المرابط الترغي، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة منهجيتها تطورها . قيمتها العلمية، تطوان: منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، 1999م، (ط1)، ص: 657.

[2] محمد حجي، المرجع السابق، ج4 ص: 1978

[3] المرجع نفسه، ج5، ص: 2066.

[4] عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط2)، 1972م، ج 1، ص: 831.

[5] عبد الله المرابط الترغي، المرجع السابق، ص: 668.

انتهائه من أداء مناسك الحج حرص على طرق أبواب العلماء والأئمة المشهورين بالحرم المكي، فسجل أسماء من اخذ عنهم ومنهم الأستاذ المقرئ الشيخ محمد بن الشيخ قاسمي إسماعيل البقري (ت 1081هـ/1672م) رئيس علم القراءات ووجد عنده الشيخ أحمد ابن عمه يقرأ عليه بالعشر وانتفع من سماعه لهذه القراءة، [1]والتقى بالشيخ سلطان المصري (ت 1075هـ/1665م) والشيخ الزعتري، وأخذ التصوف والطريقة عن مشايخ منهم عبد المعطي المالكي المصري (ت1091هـ/1680م)، [2]والتقى الشيخ احمد الناصري بالشيخ عبد القادر بن أبي بكر الحنفي (ت 1138هـ/1726م) بالحرم المكي ، كما التقى بالشيخ محمد أكرم الهندي والشيخ مصطفى بن فتح الله الحموي المكي الشافعي(ت 1123هـ/1711م) وأثناء مجالسته له اطلع على جزء من تأليفه في التاريخ الذي ذكر فيه علماء القرن الحادي عشر الهجري وصلحائه، وأدباءه، وملوكه، وشعراءه، وكان لم ينهيه حينها، كما اطلع على رحلته إلى اليمن، واستفاد من هذه المؤلفات، والتقى بالشيخ أبا بكر السجستاني واستفاد منه[3].

اجتمع بالمدينة المنورة بعلمائها وأولهم الشيخ احمد الأنصاري، وأولاده الشيخ عبد الرحيم، والشيخ عبد الكريم، وجالس خطيب مسجد النبوي الشيخ إبراهيم البري، والشيخ عبد الكريم الخليفي العباسي وكثير من العلماء، واخذ منهم الكثير من المعارف والعلوم[4].

وفي طريق العودة من الحج نزل الشيخ أحمد الناصري بمصر وجالس الشيخ محمد بن عبد الباقي الاسكندراني المالكي، والشيخ الإدريس بن احمد الصعادي الشافعي، والشيخ عبد الكريم الهندي، وفي سنة 1096هـ التقى بالشيخ الحسين العجمين والحسين الحنفي المكي الذي أهدى إليه عكاز من الخيزران.[5]

---

[1] أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية 1709. 1710هـ، تح: عبد الحفيظ ملوكي، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2011 ، ج1، مصدر سابق، ص:293.

[2] محمد حجي، المرجع السابق، ج5، ص:1644.

[3] المرجع نفسه، ج5 ، ص: 1583.

[4] الناصري، المصدر السابق، ص 517.

[5] الناصري، المصدر السابق، ص399

من أهم العلماء الذين رحلوا إلى مكة الشيخ ابن الطيب الشرقي، كانت له حلتين حجيتين الأولى سنة 1139هـ/ 1827هـ، والثانية سنة 1143هـ/ 1830هـ واستغل فرصة وجوده بالحجاز للتحصيل العلمي، فحرص على لقاء ومجالسة رجال العلم بمكة، أبرزهم الشيخ أبا العباس أحمد بن حجر، والشيخ جعفر، والشيخ أبا محمد عبد القادر بن يحي الحنفي اليمني أحد خطباء الحرم وأئمته، والشيخ محمد بن محمد قاضي زادة الأنصاري، واطلع على بعض من مؤلفاته في العلوم الشرعية[1].

وأثناء إقامة الشيخ ابن الطيب بمكة المكرمة التقى بالشيخ محمد بن عبد الله الفيلالي وهو أحد علماء المغرب المستقرين بالمدينة المنورة، فقدمه لإلقاء درس بمكة خاص بتفسير البيضاوي، ولعل هذا الأخير هو من شجع ابن الطيب على الاستقرار بمكة المكرمة، وذلك ما قرره ابن الطيب بعد حجته الثانية سنة حيث استقر بالمدينة المنورة وقال في ذلك: "قد اتخذت المدينة دارا وسكنا، ونشرت ألوية العلوم على اختلافها بالمسجد النبوي الشريف، وختمت الصحيحين والسنن الأربعة والموطأ وجملة وار من الأصول الحديثة وغيرها من العلوم الأدبية واللغوية..."، وأثناء فترة إقامة ابن الطيب بالحرمين تتلمذ على يده عدد كبير من العلماء والشيوخ من أهل المشرق، منهم الشيخ محمد أفندي المسعودي المدني (ت 1173هـ/ 1760م)، والشيخ يوسف بن عبد الكريم الأنصاري المدني الفقيه الحنفي (ت 1763م)، والشيخ محمد بن علي بن إبراهيم الزهري الشوراني (ت 1281هـ/1865م)، والشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد السلام (ت1195هـ/1781م)، والشيخ عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري المدني (ت 1200هـ/ 1786م)[2].

كما رحل إلى الحجاز الشيخ السباعي[3](ت 1155هـ/1742م) والتقى بجماعة من الأعلام المشارقة كالشيخ بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني (ت 1122هـ/1710م)، والشيخ الخرفي والشيخ

[1] خاليد فؤاد طحطح، الحركة الثقافية بمكة في مرآة بعض الرحالة المغاربة خلال القرن الثامن عشر، ضمن مجلة العربية، العدد 486، أفريل 2017، ص :1

[2] خاليد فؤاد طحطح، المرجع السابق، ص: 1

[3] هو أبي اسحاق إبراهيم بن علي بن محمد بن أحمد بن منصور بن داوود بن مسلم الدرعي الشهير بالسباعي (ت 1155هـ)، له مؤلف "الشموس المشرقة بأسانيد المغاربة والمشارقة" (ينظر عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج 2، ص: 1094.)

الحافظ البابلي والشيخ محمد بن الشيخ قاسم بن إسماعيل البقري (ت 1081هـ/1671م) شيخ الإقراء بالديار المصرية، والشيخ علي بن أبي ضياء الدين نور الدين الشبراملسي، والشيخ البرهان الكوراني، والشيخ ابن محمد ابن سليمان الروداني (ت 1094هـ/ 1683م)، وغيرهم من الحجازيين الذين انتفع منهم[1].

ورحل للمشرق أيضا الشيخ أبو محمد عبد المجدي الزبادي المنالي الفاسي (ت1163هـ/ 1750م) بنية الحج فلقي عددا كبير من الشيوخ المشارقة وأخذ عنهم رواية العلوم والتصوف[2]، والشيخ أبو العباس أحمد ابن عبد العزيز بن رشيد بن محمد ابن عبد العزيز ابن هلال الهلالي السلجلماسي (ت 1175هـ/1762م)، رحل هو الآخر للحجاز وأخذ عن العلماء المشارقة منهم الشيخ مصطفى البكري الشامي (ت 1162هـ/ 1749م)دفين مصر، وتلميذه الشيخ الشمس محمد ابن سالم الحفني (ت1181هـ/ 1768م)، والشيخ محمد ابن الحسن العجيمي الحنفي المكي (ت1156هـ/1743م)، والشيخ عبد الوهاب بن محمد الطني المكي[3]، كما أخذ الشيخ أحمد بن سعيد المكليدي قاضي فاس وشيخ الجماعة أثناء تواجده بمصر عن الشيخ الخفاجي وبالحجاز عن الشيخ الكوراني[4].

أما العلامة الشهير الشيخ الجازولي الحضيكي[5] (ت1189هـ/1775م) فرحل هو الآخر للحجاز وجالس بالمدينة المنورة عالم بالحديث النبوي الشريف الشيخ محمد حياة بن إبراهيم السندي المدني

[1] عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص : 1094.

[2] المرجع نفسه، ص: 670.

[3] المرجع نفسه، ج2 ، ص : 1101.

[4] المرجع نفسه، ج2 ، ص: 557،

[5] هو الشيخ محمد ابن احمد بن عبد الله السوسي الجزولي الإيسي الحضيكي ولد سنة 1118هـ/1706م، شيخ البلاد السوسية وأستاذها، رحل في طلب العلم إلى المشرق، وحج سنة 1775/1152م، ألف كناشة تضم إجازات مشايخه المغاربة والمشارقة، ينظر: عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، الرياض: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1425هـ، ج1، ص: 371،

(ت 1163هـ/1750م)[1]، وفي طريق عودته من الحجاز نزل بالأزهر الشريف بنية الإنتفاع بمشايخه، وحضر عند الشيخ أحمد بن محمد العماوي الدمرداشي (ت 1155هـ/1742م) مجلسه في "أصول الفقه لإبن السبكي، وحضر مجلس الشيخ الطحلاوي في "مختصر خليل" ودروس في التفسير[2]،

ومن أبرز علماء الدولة العلوية الذين رحلوا إلى المشرق الشيخ أبو القاسم الزياني الذي بعثه السلطان محمد بن عبد الله كسفير للدولة لاسطنبول، وسافر مرتين الأولى سنة 1208هـ/ 1794م، والثانية سنة1226هـ/ 1811م، التقى الزياني خلال رحلته بالعديد من علماء الحجاز، جالس بمكة فقهائها منهم الشيخ عبد الله اليمني وأخذ عنه الكثير.[3]

2.القراءة والإقراء بين علماء المغرب والمشرق:

كان العلماء المغاربة يهتمون خلال تواجدهم بالمشرق بالاتصال بالفقهاء والأدباء والقراءة عليهم، ومن أبرز العلماء المغاربة الذين اهتموا بالقراءة على علماء المشرق والسماع منهم، الشيخ أبو سالم العياشي، ومن ابرز اقراءاته قراءته "لمختصر الشيخ خليل" في فقه مالك ، وقراءته "للشمائل النبوية والخصال المصطفوية "لأبي عيسى محمد بن سورة لإمام الترميذي (ت279 هـ/893م) على أصحاب المالكية بالمدينة المنورة.[4]وقراءته على الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن الديبع اليمني الزبيدي، كما سمع عليه صدر "خليل البخاري"، وقرأ على نفس الشيخ ختمة من القرآن الكريم بقراءة الإمام عبد الله بن كثير المكي[5].

[1]أبو عبد لله محمد بن أحمد الحضيكي، الرحلة الحجازية، تح: عبد العالي المدبر، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 2011م، ص :177.

[2]المصدر نفسه، ص: 178.

[3]الزياني، الترجمانة الكبرى، المصدر نفسه، ص 243

[4] العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ص: 472.

[5]المصدر نفسه، ص: 472

والتقى العياشي بالملا إبراهيم وقرأ عليه "التُحْفَةُ المرْسَلة إِلى رَسُولِ الله صَلَى الله عَليهِ وَسَلمْ" في علم الحقائق للشيخ محمد بن فضل لله الهندي، كما ناقش معه قضايا في الفقه والتوحيد، وقرأ أيضا عليه إجازة الشيخ محي الدين بن العربي الحاتمي التي كتب بها لبعض ملوك وقته كالملك المظفر بهاء الدين غازي بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وقرأ القرآن الكريم بالقراءات السبع والكتاب الكافي لأبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني المغربي، وقرأ أيضا على الشيخ محمد بن أبي الوليد بن محمد بن شبل كتب كثيرة من تأليفه وناوله كتاب يسمى "نائب المجتهد" وكتاب" المقصد والأحكام الشرعية "من تأليفه[1]، والمحدث علي بن محمد السقاط الفاسي أقرأ هو الآخر بمكة الكتب الستة والموطأ، وشرح صحيح البخاري شرحا قيل عنه أنه ابسط من شرح إرشاد الساري للقسطلاني، وفتح الباري لإبن حجر[2].

والشيخ ابن عبد الله المغربي رحل للحجاز سنة 1125هـ/1713م، واستغل فرصة وجوده هناك وسمع عن البصري "مسند أحمد" في ستة وخمسين مجلس في الروضة النبوية الشريفة في المدينة المنورة[3]. وقرأ أيضا مقدمة الشيخ السنوسي صاحب العقائد الخمس وهي المقدمة والصغرى وصغرى الصغرى والوسطى والكبرى، وأيضا "نقاية السيوطي" لجلال الدين السيوطي على أهل السودان، وقرأ الفرضية في فقه مالك، وربع الألفية لمحمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي وبعض مختصر العصامي في الاستعارة[4].

واهتم الشيخ أحمد الناصري هو الآخر بالقراءة على مشايخ مصر والحجاز فحضر قراءة كتب التوقيت، ورسالة الخطاب ورسالة على نصف الدائرة للشيخ عبد العزيز الموقت التي قرأها جماعة من أهل مصر على الشيخ أبي الحسن علي الزعتري إمام الموقتين في الديار المصرية، ولازم حضور مجلس

[1] العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ص: 506.

[2] خاليد فؤاد طحطح، المرجع السابق، ص: 1.

[3] عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ص: 1141.

[4] المرجع نفسه، ص: 430.

هذا الشيخ طيلة مدة تواجده بمصر وقرأ عليه رسالة أبي الفتح في العمل بنصف الدائرة، ورسالة في علم الإسطرلاب، ورسالة على كورة العالم[1].

ساهمت هذه المجالسات والاحتكاك بين علماء القطرين في تحقيق تلاقح فكري، وتواصل ثقافي، ساهم في انتقال الأفكار، فلم يكن انتقال العلماء من المغرب إلى المشرق مجرد انتقال جسدي بل كان فكريا عكس شغفهم بلقاء العلماء، ورغبة جامحة في مجالسة الشيوخ وملازمتهم والأخذ عنهم وإفادتهم، ومما يوضح قوة الوازع العلمي للعلماء المغاربة أن أول ما كان يقوم به جلهم لدى حلولهم بالبقاع المقدسة هو السؤال على أهل العلم به للاستفادة منهم، فيعودون لبلادهم بعد أن يأدوا الفريضة وهم يحملون من الزاد العلمي الكثير، والمعارف والإجازات.

3.الكتب والمراسلات المتبادلة بين علماء المغرب وعلماء المشرق :

بالإضافة للدور الذي لعبه العلماء فقد كانت هناك أدوات أخرى أدت إلى استمرار التواصل، منها تلك المناقشات والمراسلات التي أجراها العلماء المغاربة الذين توجهوا إلى المشرق وقصدوا مجالسه، وأجواء الحوار التي كانت سائدة بينهم وبين العلماء المشارقة، كما كان التواصل يتم بانتقال الأفكار والعلوم عبر المنتقلين بين البلدين، حيث أن طبيب المولى إسماعيل المدعو عبد القادر بن شقرون قد أخذ بمصر من الشيخ أحمد الزيداني مسائل كثيرة في كتاب ابن النفيس الذي اختصر فيه "القانون" لإبن سينا[2].

كما يذكر السفير المغربي ابن عثمان المكناسي أنه عند نزوله إلى الشام التقى بالفقيه الشيخ محمد بن محمد الدمشقي المشهور بالغزي الشافعي (ت 1214هـ/1800م)، بجامع الأمويين ودار بينهما كلام في سيرة الشيخ الجليل أرسلان، وذكر ابن عثمان أنه سأل الغزي عن هذا الرجل، فرد عليه بأنه سيبعث له بتعريف به، لكنه أبطأ، فقام ابن عثمان بإرسال بطاقة له نصها " الحمد لله وحده، أحيا طلعة ذلك الهلال المرقوب بسلامة من النقص بعد الكلام الذي هو لدينه زينة وجمال،

[1] ابو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ص: 246.

[2] يونان لبيب رزق ومحمد مزين، المرجع السابق، ص:120.

وللدين كمال وللمستمعين فال، وللمعتفين آمال، تحية حب معتكف على حبكم لا يبرح وذي وجد بمحاسنكم لا يكيف لعدم انتهائه ولا يسترح، ويستنجر منكم ما وعدتم به ترجمة الشيخ أرسلان، فقد كان عليكم في ذلك الاعتماد والتكلان، والله تعال يتولى هداكم ويفسح في بقاء مدتكم ومداكم، ولا تبخل علينا برؤيتك أنفسنا تفديك ثق ولا تجعلنها بيضة الديك"، وتطرق ابن عثمان إلى أن الغزي بعث إليه بالترجمة[1].

غير أن الجزء الأساسي لهذا التواصل تم من خلال الكتب المتبادلة بين الطرفين، فقد كان العلماء والرحالة القادمون من المغرب إلى مصر يقومون بشراء الكتب وحملها معهم إلى المغرب، حيث يمثل الشيخ محمد بن عبد السلام البناني الفاسي أحد العلماء الذين ذهبوا إلى مصر لشراء كتب منها، فقد بدأ في تأليف كتاب تحت عنوان "معاني الوفاء من معاني الاكتفاء" وبعد ستة عشر عام من العمل على هذا الكتاب أيقن الشيخ عبد السلام بضرورة الحصول على مصادر أخرى تعينه على إتمام عمله، ولم يجد مناصا سوى الرحيل إلى مصر عام 1140هـ/1728م، وحمل معه عند عودته إلى المغرب من المصادر ما يلزمه، ويبدوا أن حركة نقل الكتب من مصر إلى المغرب الأقصى كانت تتم على نطاق واسع حتى أن بعض العلماء تمكنوا من اقتناء مكتبات كبيرة من خلال هذه الحركة، منهم الفقيه أبي عبد الله المنقوشي الذي امتلك مجموعة من الكتب بالخط المشرقي، والتي هي في الأصل ملكا للشيخ ياسين الحمصي[2].

[1] محمد بن عبد الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي احراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785م، تح: محمد بوكبوط، ابوظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، (ط1)، 2003م ، ص، ص: 242. 243

[2] يونان لبيب رزق ومحمد مزين، المرجع السابق، ص، ص: 121. 122.

كما اقتنى محمد بن عبد السلام بن ناصر الدرعي من اسطنبول نسخة من صحيح البخاري في مجلد واحد بخط أبي علي الصدفي شيخ القاضي عياض، واشترى أيضا مجموعة كتب قيمة أخرى[1].

كما اشترى أبو القاسم لزياني في رحلته إلى اسطنبول كتبا كان قد أوصاه بها السلطان محمد بن عبد الله، وهي كتاب مسند أبي حنيفة النعمان، ومسند الإمام الشافعي، ومسند الإمام أحمد، كتاب الطريقة المحمدية المختصرة من الأحياء، وذكر الزياني أن الوزير العثماني أهداه مؤلف اختصار المواهب الأربعة، وتأليف "الدرر" المتداول في الفقه الحنفي "كشرح خليل" عند المالكية وشرحه المسمى "بالغرر على الدرر".[2]

[1] ابراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب، ص: 41.

[2] أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى، المصدر السابق، ص، ص: 126. 127.

المبحث الثاني: الإجازات العلمية المتبادلة بين علماء المغرب وعلماء المشرق.

الإجازة[1] اصطلاحا هي في أصلها ضمان بعلم الطالب وقدرته على نقل هذا العلم، وقد بدأت مع علم الحديث، ثم انتقلت بعد ذلك إلى باقي العلوم الأخرى، وقد أطلقت الإجازة فيما بعد على كل أنواع الرواية وأصبحت غير قاصرة على الحديث، وإنما تشمل سائر العلوم النقلية والعقلية، وتقع أصلا في ورقة أو ورقتين وقد تتحول إلى فهرس حينما يتوسع المجيز في ذكر شيوخه ومقروءاتهم، [2]وللإجازة أنواع مختلفة منها الخاصة والعامة، وإجازة عن طريق المراسلة[3].

وتعد الإجازة شكل من أشكال التواصل العلمي والثقافي بين المغرب والمشرق خلال الفترة الحديثة، وقد قام العلماء المغاربة بتقييد نصوص اجازاتهم التي تحصلوا عليها من علماء المشرق في مختلف العلوم في كتبهم، ومنهم من جمع الإجازات التي تحصل عليها أو منحها لغيره، والتي تعكس ثقافة المجيز والمجاز والتواصل وتبادل العلوم بينهما، وجسدت بوضوح فكرة التواصل العلمي بين المشرق والمغرب الأقصى، تنوعت هذه الإجازات بين العامة والخاصة التي تشمل علم أو جزء من العلم أو شرح كتاب أو فصل منه، كما تنوعت من إجازة بالمراسلة وإجازة بالتلقين.

1.الإجازات المتبادلة بين علماء المغرب وعلماء مصر:

ومن العلماء الذين تحصلوا على إجازات من علماء المشرق الشيخ العياشي الذي كان من أحرص العلماء على أخذ الإجازات بمختلف أنواعها وذلك بهدف جمع فهرسة خاصة والحصول على الأسانيد والمسلسلات لأن تحقيق ذلك كان يعتبر مظهرا من مظاهر النبوغ العلمي، وكانت الإجازات

---

[1] في اللغة الإجازة مصدر وأصلها أجوزة تحركت الواو وتوهم انفتاح ما قبلها فانقلبت آلفا وحذفت إحدى الألفين لالتقاء الساكنين فصارت إجازة وهي مشتقة ن الفعل جوز، ويقال جزت الموضع أ ي سرت فيه، وأجزته خلفته وقطعته وأجزته أنفذته. والجواز: الماء الذي يسقاه المال من الماشية أو الحرث ينظر: لزغم فوزية، المرجع السابق، ص:15، ابن منظور، لسان العرب المحيط، بيروت: دار الجيل، 1988م، ج1، ص: 531.

[2] حسن جلاب، الإجازات العلمية على عهد الدولة العلوية "إجازة الشيخ المرابط الدلائي لأبي علي اليوسي نموذجا"، ضمن مجلة دعوة الحق، العدد326، مارس 1997م، ص:1

[3] المرجع نفسه، ص:2

التي تحصل عليها كثيرة، [1] وأورد عددا من هذه الإجازات التي تبادلها مع علماء من المشرق خلال رحلته إلى الحج في مؤلفه " اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر"[2].

ومن أهم الإجازات التي تحصل عليها الشيخ العياشي من علماء المشرق إجازة الشيخ أبو الحسن علي الأجهوري، بعدما سمع عليه "ثلاثيات البخاري" وبعض "عشريات ابن حجر" و"ثلاثيات ابن ماجه" والمسلسل بالمصافحة، وقول السلام عليكم من مسلسلات ابن الجزري والفاتحة من طريق القاضي الجان، وأجازه بمصر كذلك بسائر مروياته عن سائر أشياخه الذين يطول ذكرهم[3]، أما ثاني من أجازه الشيخ ابراهيم بن الشيخ شمس الدين الميموني (ت1079هـ/1669م) بعدما سمع عليه جامع بن عيسى الترميذي وطرفا من "صحيح البخاري" وما يماثله من "صحيح مسلم"، و "ثلاثيات البخاري" و "عشريات ابن حجر" والمسلسل بالمصافحة، [4]وأجاز له سائر مروياته عن سائر اشياخه وكتب له إجازة بخطه وناوله تأليفه "تهنئة الإسلام ببناء بيت الله الحرام"[5]

وممن أجازه ايضا الشيخ أحمد بن محمد الحفاجي أفندي (ت1069هـ/1658م) إمام الحنفية بمصر وسمع عليه المسلسلة بالأولية، وبالمصافحة والتشبيك وغيرها من مسلسلات ابن الجزري وبعض "الجامع الصغير للسيوطي"، و"ثلاثيات البخاري" وكتب له إجازة بخطه، كما أجازه الشيخ عبد القادر بن جلال الدين المحلي الصديقي بعد أن سمع عليه "ثلاثيات البخاري" و"عشريات السيوطي" وبعض "مسند ابن حنبل" و"الفتوحات الإلهية"، وأجازه بسائر مروياته عن سائر شيوخه[6]، والتقى العياشي

[1] فقيقي محمد الكبير، التواصل العلمي بين أعلام المغرب ومصر اثناء القرنين 17 .18م من خلال رحلات المغاربة الحجازية، ضمن مجلة الفسطاط التاريخية، الثلاثاء 23 جويلية 2013م، ص: 1

[2] محمد بن جن بن عقيل موسى الشريف، المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية، جدة (المملكة العربية السعودية):دار الأندلس الخضراء ، . 2000م، ط1، مج 1، ص: 269.

[3] العياشي، اقتفاء الأثر، المصدر السابق، ص: 119.

[4] المصدر نفسه، ص: 132.

[5] المصدر نفسه، ص: 125.

[6] العياشي، اقتفاء الأثر، المصدر السابق ، ص، ص: 126. 127.

بالشيخ عبد الجواد ابن إبراهيم الطريني وسمع عليه عقيدة إبراهيم اللقاني المسماة بالجوهرة وكتب له العياشي تقريضا على تأليف له كما ناوله فهرسة السيوطي وأجازه سائر مروياته عن سائر شيوخه[1].

والشيخ شمس الدين محمد بن سالم الحفني الشافعي الأزهري شيخ الإسلام بالديار المصرية استجازه من أعلام المغرب مكاتبة كالقادري وأبي حفص الفاسي وأبي عبد الله محمد الجنوي، [2]وأخذ الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي إجازات عن العلماء المشارقة من بينهم نور الدين أبي الحسن الشبراملسي المصري، وإبراهيم الميموني، وعبد السلام بن الشيخ إبراهيم اللقاني، وزين العابدين بن الطبري الحسني، وإبراهيم عبد الرحمن الخياري المصري[3].

كما كان للشيخ أحمد الناصري نصيب من إجازات المشارقة، فأجازه الشيخ أبو الحسن علي الزعتري بعد قراءته لرسالة العلامة الشيخ محمد الحطاب في معرفة التواريخ والأوقات، ورسالة الشيخ أبي الفتح في العمل بنصف الدائرة[4]، كما تحصل الشيخ محمد بن عبد الله المغربي وهو في طريقه إلى الحج على إجازة من الشيخ شاكر العقاد المكي في علم الحديث[5].

اما العلامة الشهير ابو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي الأيسي فقد تلقى إجازيتين في طريق رجوعه بعدما استقر بمصر بنية

بعلمائها خلال رحلته الحجازية، كانت الأولى من العلامة المحدث شيخ المالكية احمد الاسكندري (ت 1163هـ/ ، حيث حضر عنده الحضيكي "مختصر خليل" ورسالة أبن أبو زيد وأحاديث ابن جبرة، "والجامع الصغير" للإمام السيوطي، وأجازه إجازة عامة على ذلك[6]، أما الإجازة الثانية حصل عليها من الشيخ أحمد بن محمد العماوي الدمرداشي بعدما جالسه في أصول الفقه

[1] العياشي، اقتفاء الأثر، المصدر السابق ، ص: 129.

[2] عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص:259

[3] محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج5، ص، ص: 1899. 1900.

[4] الناصري، مصدر سابق، ص: 264

[5] محمد علي فهيم بيومي، المرجع نفسه، ص:191.

[6] الحضيكي، مصدر السابق، ص: 177.

حيث سرد الحضيكي نصيبا من شرح الأسطلاني على"صحيح البخاري" رفقة الشيخ إبراهيم وهو أحد أصدقاء الحضيكي الذين درس معهم في الأزهر خلال إقامته للدراسة في طريق عودته من الحج[1] وقد أجازه بجميع مروياته سنة 1153هـ/ 1740م، ونص الإجازة: "الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، استخرت الله العظيم وأجزت المذكور بجميع مروياتي بشرطها، وأسأله أن لا ينساني من صالح دعواته. كتبه الفقير احمد العماوي المالكي الأحمدي الدامرداشي الأشعري عفا الله عنه"[2]

2.الإجازات المتبادلة بين علماء المغرب وعلماء الحرمين الشريفين.

كما شكل وجود المغاربة بالحرمين الشريفين فرصة لطلب الإجازات سواء من علماء الحرمين أو العلماء المجاورين، كما كان المغاربة بدورهم يجيزون علماء الحرمين وشكلت هذه الإجازات وسيلة لنقل ثقافات وعلوم وأفكار هؤلاء المشايخ فيما بينهم.

ومن العلماء الذين تحصلوا على إجازات بالحرمين الشرفين، الشيخ أبو سالم العياشي أثناء وجوده بالمدينة المنورة، حيث التقى بشيوخها وممن أجازه منهم الشيخ علي بن عبد القادر الحسيني الطبري بعدما قرأ عليه بالحرم الشريف بعض "صحيح البخاري"، وبعض "صحيح أبي الحسن مسلم بن الحجاج"، بعض "سنن ابن ماجة" وبعض "سنن الترميذي"، ومن أول "سنن أبي داود" وأجازه بكل ذلك، وبمسلسل بالأولية وبسائر مروياته عن سائر شيوخه وكتب له ذلك بخطه[3]، وأخذ إجازة أيضا من الشيخ علي بن محمد الديبع اليمني الزبيدي بعد أن قرأ عليه بالمسجد صدرا من البخاري وأجازه عن ذلك، كما أجازه بالخصوص "تيسير الوصول إلى جامع الأصول وصحيح مسلم".[4]

---

[1] الحضيكي، مصدر السابق، ص: 182

[2] محمد بن أحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، تح: أحمد بومزكو، الدار البيضاء (المغرب): مطبعة النجاح الجديدة، (ط1)، 2006م، ج1/ ص: 107.

[3] أبو سالم العياشي، اقتفاء الأثر، المصدر السابق، ص: 137

[4] المصدر نفسه، ص، ص: 138 .139.

والتقى الشيخ أبو سالم بالشيخ علي بن أحمد اليمني الشافعي بمكة وأجازه العياشي شيئا من الحديث، ثم أجاز هو الآخر بدوره العياشي بسائر مروياته عن سائر شيوخه، وقرأ أيضا العياشي على الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري الشافعي أوائل الصحيحين وبعض "الشمائل" وبعض "الأربعين النووية" وأجاز له جميع مروياته عن سائر شيوخه، كما منح العياشي هو الآخر إجازات لعلماء من المشرق كإجازته لإبراهيم المرواني وإبراهيم الكوراني.[1]

كما كان الشيخ أبو الوليد عبد الملك بن محمد التجموعي (ت1118هـ/1707م) من العلماء المغاربة الذين تحصلوا على إجازات من العديد من علماء المشرق من بينهم الحافظ البابلي الزرقاني والخرشي والبرهان الكوراني[2]، ، ومن بين العلماء المغاربة الذين أجازوا المشارقة الشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان الفاسي ابن طاهر السوسي الرداني (ت1094هـ/1683م) الذي أجاز جماعة من أهل المشرق من بينهم إلياس بن إبراهيم الكوراني ومحدث الشام أبو المواهب ابن عبد الباقي الحنبلي والبصري وأبو طاهر ابن الملا إبراهيم الكردي والوجيه عبد الرحمن بن محي الدين المحلي الدمشقي وعبد الكريم بن محمد بن كمال بن حمزة الدمشقي.[3]

كما أخذ الشيخ أبو عبد الله محمد الشهير بالمرابطي الدلائي (ت 1089هـ/1678م) أثناء تواجده بالحجاز إجازة من الفقيهتين الجليلتين السيدة مباركة والسيدة زينب الشرف بنت الشيخ العلامة عبد القادر بن محمد بن حي بن مكرم بن محب الطبري الخرسيني[4]، وأخذ الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي إجازات عن العلماء الحجاز من بينهم الشيخياسين ابن محمد عريس الدين

[1] فقيقي محمد الكبير، التواصل العلمي بين أعلام المغرب ومصر أثناء القرنين 18/17م من خلال رحلات المغاربة الحجازية، المرجع نفسه، ص: 2

[2] عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص :255.

[3] المرجع نفسه، ص: 427.

[4] محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج2، ص: 1006.

الشافعي المدني الأنصاري، والشيخ إبراهيم بن الحسن الشهرزي، ومفتي غزة وقاضيها عمر بن عبد القادر المشرقي[1].

كما كان للشيخ أحمد للناصري نصيب من إجازات علماء الحرمين، فأجازه الشيخ أبي عبد الله البصري والتي قدمها له في مكة لفظا وبعدها بعث له الإجازة لبلده عن طريق أصحابه وأورد في رحلته نص الإجازة[2]"بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام، الأتمان الأكملان، على مولانا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد: فقد التمس من الفقير إلى الله تعالى مولانا وسيدنا شيخ الإسلام: الشيخ محمد ابن ناصر الدرعي، نفع الله تعالى به وبأسلافه، أن أجيزه برواية الكتب الستة التي هي دواوين الإسلام، وبرواية الموطأ الإمام مالك فقد أجبته إلى طلبته وأجزته أن يرويها جميعا عني، وأن يروي جميع ما يصح عني ولي روايته. والفقير وإن لم يكن أهلا لذلك لكن ما وسعني إلا إجازته نفعنا الله به...[3]"

وحصل على إجازة من الشيخ الشمراني في جميع مروياته مقروءاته ومسموعاته وسائر العلوم النقلية والعقلية وطالب الناصري بإجازة من طرفه[4]، كما أجاز الشيخ إسماعيل خطيب الحرم المدني الشيخ الناصري عن حديث "إنما الأعمال بالنيات"[5] وأورد نص الإجازة. "أحمد الله سبحانه، ونسأله أن يصلي ويسلم على نبيه وأشرف خلقه مولانا محمد ولآله وصحبه وأتباعه وأحبابه:

أخذت قراءة القرآن والحديث عن العارف بالله تعالى الشيخ على الشبراملسي عن الشيخ الحلبي صاحب السيرة عن القاضي الشمهروش عن النبي، صَلى اللهُ عَلَيْهْ وَسَلَمْ، وقد أجزت الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ السيد أحمد بن محمد بن ناصر أن يروي بهذا السند الشريف، العالي المنيف، حديث

[1] محمد حجي، المرجع السابق، ج5، ص، ص: 1899. 1900.

[2] عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص: 400.

[3] أحمد الناصري، المصدر السابق، ص: 400

[4] المصدر نفسه، ص:520.

[5] المصدر نفسه، ص: 532

سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، ككتاب البخاري وغيره من الكتب. وقد قرأ علي حديث "إنما الأعمال بالنيات" نفع الله تعالى به المسلمين، وجعلني وإياه في بركة سيد المرسلين آمين."[1]

وممن تحصلوا على إجازات من علماء المشرق الشيخ إبراهيم الدباغ في رحلته للحج، حيث أخذ إجازة من الشيخ حسن العدوي وتلقى منه الطريقة الشاذلية وتلقى الطريقة الرفاعية من السيد أحمد بن منصور الرفاعي ولاقي الشيخ أحمد الدهان بمكة وتلقى منه الأسماء الإدريسية وأذن له في جميع الأسماء بعلومها وخواصها وغير ذلك[2].

وأجاز الشيخ محمد حسين جمال الليل المكي الشيخ أبو جيدة الفاسي، ومن المدينة أجازه الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلاوي، وأبن أخيه الشيخ محمد المظهر، والسيد أحمد الرفاعي والشيخ عبد الجليل برداه[3]، وممن تحصلوا على إجازات من المشارقة بالحرمين المحدث علي ابن محمد السقاط الفاسي حيث أجازه أبو حامد محمد البديري الدمياطي الشهير بابن الميت، ومصطفى بن كمال الدين البكري[4].

كما أجاز المغاربة بدورهم العلماء المشارقة كإجازة الشيخ العياشي للشيخ المكي حسن العجيمي (ت 1113هـ/1702م)[5]، ومن أمثلة ذلك أيضا إجازة ابن الطيب الفاسي (ت 1170هـ/1757م) للشيخ أحمد بن إسماعيل العجلوني وشقيقه أبي الهدى العجلوني حيث أجازهما في علم الحديث، كما قدم المغاربة إجازات في العلوم العربية والعقلية ومنها على سبيل المثال إجازة الشيخ

[1] أحمد الناصري، المصدر السابق ، ص: 533.

[2] عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي، معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب، تح: عبد المجيد خيالي، بيروت: دار الكتب العلمية، (ط1)، 2003م، ج1، ص: 116.

[3] الفاسي، المصدر السابق، ص: 144.

[4] خاليد فؤاد طحطح، المرجع السابق، ص: 1.

[5] حسن العجيمي : هو الشيخ حسن العجيمي المكي الصوفي له مؤلفات اهمها "خبايا الزوايا فيما للرجال من بقايا" ينظر محمد علي فهيم بيومي، المغاربة في المدينة المنورة ابان القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر ميلادي، القاهرة: دار القاهرة، (ط1)، 2006م، ص: 183

علي بن محمد العربي السقاط العربي نزيل المدينة المنورة إلى الشيخ عبد الله محمد المدني وإجازته كذلك لتلاميذ في علم اللغة وفي القاموس المحيط.[1]

ومنه فإن الإجازة كانت إحدى طرق نقل التراث الإسلامي وتعزيز التواصل الثقافي بين المغرب الأقصى والمشرق وتحديدا الحجاز عن طريق العلماء المغاربة الذين وفدوا إلى الحجاز، فأدوا فريضة الحج وكان منهم من استقر بالمدينة المنورة فأجازوا بدورهم المشارقة وأبناء الحجاز[2]، فقد حرص العلماء الوافدون إلى بلاد الحرمين الشريفين على لقاء علماء مكة والمدينة، لمكانتهم العلمية ولأخذ العلوم منهم وحصولهم على إجازات علمية في علوم إسلامية مختلفة، تدل على اعتراف العالم باستحقاق الطالب وجدارته، ولها مدلولها وافصاحها عن قدرة الشيوخ الذين أجازوهم فكلما كانوا ذوي قدر كبير وشأن عظيم في العلم، عظمت النظرة للطالب، وارتفع قدره إذ مكانته من مكانتهم وقدره حسب ارتفاع أقدراهم.

[1] محمد علي فهيم بيومي، المرجع السابق، ص: 185.

[2] المرجع نفسه، ص: 182.

المبحث الثالث: المناظرات والقصائد الشعرية المتبادلة بين علماء المغرب والمشرق.

كانت الرحلات المغربية إلى الحجاز تمثل فرصة للقاء العلماء والخوض في أمور العلم والدين وإثارة النقاشات الأمر الذي يترتب عنه اختلاف في عدة مسائل خاصة مع اختلاف المذاهب ومما يؤدي إلى جدل علمي وفكري بين العلماء الحجاج، وكان هذا الجدال بقصد الدفاع عن رأي أو نقضه وهذا ما يصطلح عليه بالمناظرات، وكانت هذه الأخيرة تساهم في انتقال الأفكار والعلوم ووجهات النظر بين العلماء المتناظرين، وتعكس ثقافاتهم وثقافة بلدانهم وآرائهم.

1. المناظرات

المناظرة[1]هي المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر مع رغبة كل منهما في ظهور الحق، لقوله تعالى :﴿**وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[2]، وتقوم المناظرة على اختلاف وجهات النظر وتباينها واختلاف في الآراء حول مسألة ما[3].

وكنموذج لهذه المناظرات التي كانت تقع في الرحلات الحجازية، مناظرة كلامية مع معتزلة أوردها الشيخ أبو سالم العياشي في رحلته، وجرت وقائع هذه في المدينة المنورة في مسجد الرسُولْ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وسَلَم، في موسم الحج بين العياشي ورجل لم يرد اسمه أو أي معلومات عنه في نص المناظرة،[4] فالعياشي من أقصى الغرب الإسلامي، من قبيلة بربرية أمازيغية وهي قبيلة آيت عياش بعيدة كل البعد عن أسباب التمدن، أما الرجل الثاني فهو فيما زعم شريف من اصبهان من أقصى الشرق الإسلامي

[1]معناها اللغوي هي المقابلة بين اثنين كل منهما ينظر إلى الآخر أو كل منهما كل منهما ينظر بمعنى يفكر والفكر هو المؤدي إلى علم أو غلبة أو ظن، ينظر: محمد أمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، تح: سعود بن عبد العزيز العريفي، دار عالم الفوائد، ص: 139.

[2]سورة النحل الآية 125

[3] محمد أمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، المصدر السابق، ص: 139.

[4] العياشي، الرحلة العياشية، ص:247.

ورغم مخالفة العياشي له في الرأي إلا انه اعترف بعلمه وذلك دليل على ما تحلى به العياشي من خصال حميدة في أدب المناظرة[1]

التقى الرجلان المتناظران في مجلس من مجالس العلم في مسجد النبوي خلال حجة العياشي الأخيرة 1072هـ/ 1662م، أما موضوع المناظرة فهو كما حدده أبو سالم العياشي إثبات الصفات كما حدد بدقة بالغة أسس الخلاف حيث ذكر الفرق بين اعتمادا هذا الدليل أو ذاك على أساس، وقد تعمد عدم إيراد كلام مناظره واكتفى بقوله : "...قال كذا، ... وقال كذا..."[2]

أما الشيخ الناصري فقد أورد في رحلته مناظرة وقعت في القاهرة بينه وبين الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الشهير بالدردير العدوى المالكي شيخ مالكية مصر، [3]بدأت هذه المناظرة عندما ورد المجلس رجل وسأل عن معنى بعض الآيات كقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيم**﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾[5] وغيرها من الآيات التي تؤكد أن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة، وأجابه الشيخ في قول الغزالي بأنه لا يمكن أن يخلق العالم في صورة أحسن مما هو عليه.

وهنا أبدى الناصري اعتراضه قائلا أنه إذا كان المراد بالإنسان آدم بالخصوص وهو واحد عليه السلام، أو سائر الأنبياء أو البعض من غيرهم فلا إشكال وإن أريد الجنس أو العموم فلا شك بأننا نجد في الآدميين من تشكو العين النظر إليه لبشاعة خلقته ولا ربما تستحسن العين بعض الحيوانات كالضبي وبعض الطيور، فرد الشيخ بان المراد بالإنسان ماهيته فقال الناصري بأن الماهية الحيوانية والناطقية لكل منهما معنى الجسم والدليل على أن المراد هو الهيئة الاجتماعية لقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**﴾ فأجابه الشيخ أن تراكيب الآدمي وتناسق أعضائه هو المراد فأجابه الناصري

[1] عبد السلام مختار شقور، المرجع السابق، ص: 109.

[2] المرجع نفسه، ص:101. 111.

[3] المرجع نفسه، ص: 122.

[4] سورة التين، الآية 40

[5] سورة الإسراء، الآية 70.

بدوره بقوله إن التراكيب والمفاصل منها ما هو مستهجن فأجابه الشيخ وإن كانت كذلك في أعضائهم بتركيب الحاجب مثلا صدورا على العينين وغيرها من حسن تقويم، فسأل الناصري بأن هذا إخبار من الحق سبحانه عن حال الآدمي قبل خروجه من بطن أمه أو بعد؟، فرد الشيخ بان كلامه تعالى قديم، فقال الناصري إنها عقيدة المسلمين ووجه سؤاله للشيخ عن ما انا كان يوجد مرتبة أحسن منها، فأجابه الشيخ بالنفي وأن هذا معنى قول الإمام الغزالي ليس في الإمكان أبدع مما كان فرد الناصري بأن الآية وقول الغزالي بحسب ما أبرزته القدرة للوجود من نسبة لعلم المخلوق لا لعلم الله، إذ بإمكان الله إيجاد شيء أحسن مما أبرزه[1].

ومما يبدو من المناظرة أن الإشكال بقي قائم إلى حدود القرن الثالث عشر الهجري، والأساس في الاختلاف بين المتكلمين في هذه المناظرة يرجع إلى اختلاف الدليل المعتمد، نرى في هذه المناظرة الناصري الشيخ المغربي يناظر شيخه، ويحاول إثبات وجهة نظره بإعطائه حججا وأدلة استنبطها من ثقافته وتكوينه الفكري والديني في بلاده ونقلها من خلال هذه المناظرة لغيره، كما أخذ هو الآخر أفكار بشأن هذه المسألة ورغم أن الجدال لم يحسم لصالح طرف منهما إلا أن هذا النقاش عكس ثقافة الطرفين المتناظرين[2].

وفي نفس السياق يورد الزياني في رحلته إلى الحج أنه كان يجتمع وهو بمكة ببعض علمائها وفقهائها يتذاكرون، إذ مر بهم رجل أعمى يصفه الزياني بقوله: "...اذ جلس معنا عشية يوم رجل أعمى صاحب وجاهة متجمل بزي الفقهاء لسانه بالعربية فابتدأ كلامه بعد السلام بالسؤال عن دفتر كان بينهم، فقيل له أنه نقاية السوطي في التوحيد فأخذ الدفتر وفتحه وقال الله أكبر لله الحمد، ما جئت إلا بسبب هذا أباحثكم عن مسائل خطرت ببالي يا إخواني ما معنى الله؟... فقالوا علم على الذات الواجب الوجود، إلى آخر ما يقال في ذلك، فرد وما معنى العلم؟..."[3].

[1] عبد السلام مختار شقور، المرجع نفسه، ص: 124.

[2] المرجع السابق، ص: 124.

[3] الزياني، الترجمانة الكبرى، المصدر السابق، ص: 132

ويذكر الزياني أن الرجل ظهر من فحوى كلامه أنه يريد البحث في اثبات الصفات، مما دل على أنه من المعتزلة. وبعد هذا قام الرجل بتوجيه سؤال للزياني سائلا إياه عن رأيه، فأجابه بقوله " وما عسى أن أقول لو كنت من أهل السنة لكفاك ما سمعت واعتمدته في دينك، ومخالفتك في هذا تدل على سوء اعتقادك.."[1]

وجاء رد الزياني على الرجل بعد هذا الكلام بجواب الشيخ أبي سالم العياشي، وهو قوله لمعتزلي أجتمع به بالمدينة المنورة "نحن أهل السنة والجماعة نجعل معتمدنا في العقائد الدينية الأدلة النقلية من الكتاب والسنة الموافقة للأدلة العقلية، ونرد من خالفنا للكتاب والسنة من مقتضيات المفهوم والآراء، ونقدم رأي صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم وفهمه، ورأي السلف الصالح وفهمهم على رأينا وأفهامنا، وأنتم بالعكس تحكمون عقولكم وأوهامكم، فتحملون الأدلة الشرعية كلها المقطوع بها على ما يوافق هواءكم وآراءكم، فتبصرون المتبوع تابعا، والتبع متبوعا، فشتان بين من يحكم والسنة على عقله ورأيه، ويرد ما خلفهما اليهما بتأويل تشهد له اللغة ولا ينفعه العقل، وبين من يحكم عقله ورأيه فيحمل عليهما الكتاب والسنة بتكلف وتعسف، ويتخذ إلهه وهواه ومعبوده موهومه..."، ويقول الزياني أن الرجل لما سمع رده قام ولم يعد[2].

قدمت المناظرات ضروبا من التواصل العلمي بين العلماء على اختلاف مذاهبهم وأقطارهم، وعكست ثقافاتهم وثقافة بلدانهم، وأسهمت في انتقال الأفكار بين علماء المغرب والمشرق خاصة في مواسم الحج، فيسعى كل طرف إلى نقل أكبر قدر من الأفكار للطرف الثاني بغرض إثبات صحة رأيه.

2. تبادل القصائد الشعرية بين علماء المغرب ونظرائهم المشارقة:

توقفنا الأشعار المتبادلة بين علماء المغرب الأقصى والمشرق على وجه آخر من وجوه التواصل العلمي الثقافي، وهو الوجه الإنساني الأخوي في أرقى مظاهره وأدق مواقفه، فالقصائد المتبادلة تمثل

[1] الزياني، الترجمانة الكبرى، المصدر السابق، ص: 231.

[2] المصدر نفسه، ص: 232.

صورة تعكس العلاقات الإنسانية بين شيخ وشيخ، أو طالب علم وشيخه، وكان من عادة العلماء والأدباء عند التقائهم إنشاد الشعر واستنشاده وقد ورد هذه القصائد والأبيات في الكثير من الأحيان عند الوداع[1].ويمكن أن تندرج هذه القصائد المتبادلة تحت أغراض شعرية كثيرة، بل تتجاوزها مرات فنجد قصائدا وأبيات في الألغاز، أو الإستجازة[2].

وكثيرا ما كانت تبادل الشعر منتشرا بين المشايخ لما يتضمنه من حكم بالغة ومواعظ مؤثرة ومعاني لطيفة، عكست العلاقات الثقافية والأخوية بين علماء المشرق والمغرب، وكان الجواب على هذه الأبيات فرض لا يجوز الإخلال به، وكانت هذه الأبيات الشعرية في الأغلب قليلة، وما كان طويل منها كان في مدح الرَسُولْ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وسَلَمْ[3].

فترد في رحلة الشيخ العياشي قصائد تبادلها مع علماء المشرق كقاضي المالكية بالقاهرة الشيخ عمر الفكرون الذي بعث للعياشي بقصائد كثيرة دارت بين الشيخ المقري ومعاصريه من أهل مصر، وتبادلا أبيات الشعر بمناسبة عيد الفطر[4]. وقصيدة الحاج أبو بكر بن سالم خديم ضريح ولي الله أبي العباس المرسي بالإسكندرية قائلا: مكتوب على روضة الشيخ الشاذلي هذان البيتان لبعض المحبين في الشيخ وهما:

"قد كان صاحب هذا القبر لؤلؤة يتيمة صاغها الرحمن من الصدف

أتت فلم تعرف الأيام قيمتها فردها رحمة منه إلى الصدف"[5]

[1] عبد السلام مختار شقور، مرجع سابق، ص: 127

[2] المرجع نفسه، ص:128

[3] المرجع نفسه، ص: 130.

[4] المرجع نفسه، ص: 233.

[5] العياشي، اقتفاء الأثر، المصدر السابق، ص: 206.

وأرسل الشيخ الميموني للعياشي قصيدة عند توجهه إلى الحجاز: " ياخير من دفنت بالترب أعظمه" وهي قصيدة طويلة[1]، وأنشده الشيخ الطهطائي قصيدة من إملاء الشيخ الكلبي ومما ورد فيها قوله:

كلام المصطفى وحي فحدث عنه مامونا

فلا تسمع ولا تسمع كلاما عنه ملحونا"[2]

أما العياشي فقد أرسل بدوره قصيدة شعرية للشيخ شهاب الدين الحفاجي الحنفي ومما ورد فيها قوله:

"يا ساكنى الأحشاء ماذا الجفاويا بدور التم ماذا الخفا

لي ذمه الحب عهد الصبا ما شيمة الأشراف إلا الوفا"[3]

أما الرحلة الناصرية الكبرى، فلم يرد فيها الكثير من الأشعار، فالناصري أورد قصائد هي أقرب إلى المنظومات منها إلى الشعر، ولا يندرج ما ساقه تحت باب الشعر المتبادل إلا قدر يسير، وهذا دليل على قلة العناية بالشعر في ذلك العصر، وجل ما في الرحلة الناصرية الكبرى من شعر ورد في باب الإجازة الإستجازة، [4]وكنموذج عن القصائد المتبادلة في هذه الرحلة قصيدة الشيخ أبي الحسن علي الزعتري للناصري، وأنشده لغزا في الخمر وفي نيل مصر وذم الدخان وأهله، وانشده في بحور مختلفة من الشعر[5].

[1] العياشي، اقتفاء الأثر، المصدر السابق، ص: 207.

[2] المصدر نفسه، ص: 209.

[3] المصدر نفسه ، ص: 210.

[4] المصدر نفسه، ص 132.

[5] الناصري، مصدر سابق، ص: 270.

وفي نفس السياق يذكر ابن عثمان المكناسي عند وصوله إلى الشام أن الشيخ محمد بن محمد الدمشقي المشهور بالغزي الشافعي بعث لإبن عثمان بسيرة الشيخ الجليل أرسلان مصحوبة بقصيدة شعرية مضمونها:

ياواحـــــد الفضـــــل وفـــــر النهـــــى وأكمـــــل النـــــاس مقامـــــا وحـــــال
ومـــــن رقـــــى مجـــــده رتبـــــة قـــد قصـــرت عنهـــا فحـــول الرجـــال
ومـــــن بميـــــدان العـــــلوم اغتـــــدا حـــــال لـــــم يبقـــــى لغـــــير مجـــــال
لا عجـــب مـــن بـــدر فـــتضل أضـــاف فمـــن جهـــات الغـــرب يبـــدوا الهـــلال
تبارك السواهب قلبي له وجل من قد خصه بالكمـال

وأجابه ابن عثمان بقوله:

يـــا واحـــد الفضـــل وفـــرد النـــها واكـــمل النـــاس مقامـــا وحـــال
ومـــن رقـــى مـــجده رتبـــة قـــد قصـــرت عنـــه فـــحول الرجـــال
لا عجـــب مـــن بدـــر فضـــل أضـــاف مـــن جـــهات الغـــرب
يبدو الهلال تبارك السواهب له قلبي له وجل من قد خصه بالكمـال [1]

كما أرسل ابراهيم الخطيب المغربي قصيدة يهنئ فيها الشيخ خير الدين إلياس مفتي الحنفية بالمدينة المنورة بتوليه للقضاء قائلا:

ملبوس عز وفخار وأن أتت عليك قبلة بالفخار
وحلية خصتك لكنها عمت محلبك بكل المصار
فهنأ بها وصرا برغم العدا والبشرا بما فيه زوال المضار

[1] محمد بن عبد الوهاب المكناسي، المصدر السابق، ص، ص: 243 . 244.

فأجابه الشيخ خير الدين إلياس بقوله:

يا من عليه في العلوم المدار ومن إلى علياه بعزى

الفخار يا كعبة الفضل الذي يمم تلقاءها الوافد من كل دار[1].

تعكس هذه القصائد والأبيات الشعرية المتبادلة بين علماء المغرب والمشرق العلاقات الأخوية بينهم التي تعدت العلاقات العلمية الثقافية وتجاوزتها، وشكلت هذه الأبيات طريقة إنسانية للتواصل، وترجمت العلاقة العلمية وشكلت جسرا ثقافيا بين المغرب والمشرق وبين علمائه.

نستنتج مما سبق أن الحجش كل المجال الأمثل لتحقيق التلاقح الفكري، والتواصل العلمي بين أقصى نقطة في الغرب الإسلامي والبقاع المقدسة والطريق إليها، حيث تعددت أشكال التواصل بن علماء المغرب الأقصى وعلماء مصر والحجاز ومن مختلف أقطار الإسلام الذين وفدوا إلى الحجاز فنقلت العلوم والمعارف بين العلماء بأساليب مختلفة كان أبرزها المجالسات التي كانت تجمع بين العلماء ويتم فيها تبادل الأفكار والقراءة والإقراء والمناقشات العلمية، كما كانت الإجازة شكلا مهما يعكس الثقافات المتبادلة والمستوى العلمي للعلماء ويتم من خلاله التعارف والاطلاع على المؤلفات وبتبادل الإجازات العلمية فيما بينهم يحققون أكثر من فائدة، فيسهمون في تعزيز أواصر الترابط الثقافي بين بلدهم المغرب الأقصى ومختلف أقطار المشرق، ويخلفون الأثر البارز في تمازج ثقافتهم مع ثقافات إسلامية متنوعة، ، وبطبيعة الحال تمخض عن هذه العلاقات العلمية بين علماء المغرب والمشرق علاقات إنسانية جمعت الطرفين وعبروا عنها بالأبيات والقصائد الشعرية المتبادلة والتي عكست بوضوح الوحدة الفكرية بينهم.

لهذا كان العلماء أشد شوقا ورغبة لأداء هذه الفريضة ذلك بسبب معرفتهم بأهمية أداءها وما يحصل عليه المسلم من المنافع والفوائد في الدنيا والآخرة من أداء هذه الشعيرة العظيمة، وهذا اللقاء الإسلامي الكبير في هذه الأراضي المباركة وفي جوار الحرمين الشريفين يدفع الحجاج العلماء إلى

[1] يونان لبيب رزق ومحمد مزين، المرجع السابق، ص، ص: 132، 133.

الحرص على استغلال أداء تلك الفريضة بما يعود عليه بالنفع في دينه ودنياه، فهو إما مشتغل بعبادة أو بطلب علم، وكان علماء المغرب الأقصى أكثر حرصا على أداء فريضة الحج واستغلال هذا الموسم لتحقيق أغراض تكمن في لقاء صفوة علماء الأمة الإسلامية ومفكريها وأدباءها، وبالتالي كان أداء ركن الحج أبرز وسيلة وأهمها على الإطلاق في تعزيز التلاقح الثقافي.

الفصل الثالث

مظاهر التبادل الثقافي بين المغرب والمشرق

المبحث الأول: العلماء المغاربة المجاورين ودورهم في الحياة العلمية بالمشرق

المبحث الثاني: السلاطين العلويين وعلاقاتهم الثقافية مع المشرق

المبحث الثالث: الحركة الوهابية وتأثيرها الثقافي الديني بالمغرب

ارتبط المغرب بالمشرق بفعل الروابط الدينية واللغوية منذ قرون، وكان من الطبيعي أن تحقق هذه الروابط نوعا من التواصل، تجلى في ذلك التأثير الثقافي بين الطرفين، والتشابه والتمازج بين ثقافات المشرق والمغرب، بفعل تلك التيارات المتبادلة منها ما اكتسب الصيغة الرسمية، ومنها ما تكفلت به شخصيات علمية من المغرب أو المشرق لعبت دورا في حمل ثقافات القطرين، مجسدة صور التواصل الفكري الثقافي.

المبحث الأول: العلماء المغاربة المجاورين ودورهم في الحياة العلمية بالمشرق:

ظلت صلات المغاربة بالمشرق وتحديدا بمصر والحجاز بحكم العامل الجغرافي، مستمرة وبرز التأثير المغربي على الحياة التعليمية والثقافية في كل من القطرين وأصبح الوافدون من طلاب وعلماء المذهب المالكي والعلوم العربية، ومنذ العصر المملوكي بدأت صلات المغاربة بالأزهر والمدارس المصرية والحرمين الشريفين تقوى وتزداد ترابطا، حيث تصدى للتدريس علماء مغاربة وكان لهم نشاطهم البارز، وازداد إقبال المغاربة طلابا وعلماء على مصر ومدارسها وأزهرها التي ازدهر فيها تدريس العلوم الشرعية والعربية والرياضية والفلكية، إضافة إلى الإقبال على الحرمين والمجاورة بهما.

ويطلق لفظ المجاورين على المقيمين بمراكز العلم كالحرمين أو الأزهر الشريف من غير الالتزام بشرائط الاعتكاف الشرعي، ولهذا يقال لأهل مكة مثلا جيران البيت ومتى اتخذها الغريب دار صار مجاورا، فأصبح لمجاورة العلماء الأثر البالغ في مجال الثقافة، فقد عملت على اختلاط الأجناس وتمازج الثقافات وانتقال الكتب والمؤلفات، وساهمت المجاورة في إثراء عملية التأليف والتدوين التي وجدت في المشرق البيئة الأمثل.

1. دور العلماء المغاربة في الحياة الثقافية بمصر:

من خلال دراسة حياة العلماء المغاربة الذين درسوا وجاورا في الأزهر وفي المدارس الأخرى التي كانت تابعة له في القاهرة أو في المدارس العلمية الأخرى، يتضح النشاط العلمي لهؤلاء العلماء والعطاء العلمي الذي قدموه للحياة الثقافية في مصر والوطن العربي مشرقه ومغربه، حيث تدلنا تراجم وسير العلماء على العدد الكبير من المغاربة الذين تخرجوا على يد العلماء المصريين، أو عاشوا برواق المغاربة بالجامع الأزهر، حتى تمكنوا من الوصول إلى أعلى مناصب التدريس في الأزهر ذاته ومدارس القاهرة والإسكندرية، بل إن منهم من وصل إلى منصب الإفتاء وهذا ما دل على مكانتهم العلمية،

فضلا عن سلسلة من العلماء المغاربة الذين تلقوا العلم بمصر، ثم رحلوا إلى بلادهم ليفيدوا أبناء وتلاميذ وطنهم بثقافتهم وعلومهم ومعرفتهم المكتسبة من المشرق، أو رحلوا إلى بلاد المشرق ليكملوا رسالتهم.

وشهدت مصر أفواجا من العلماء المغاربة الذين أتوا إليها، واستقروا فيها، وأخذوا من علمائها، ودرسوا فيها، وقد شكلت هذه الأفواج تيارا مستمرا في العلاقات الثقافية بين البلدين[1]، ويشهد القرنين السابع والثامن عشر زيادة حجم تيار العلماء المغاربة القاصدين مصر، والذين خلفوا أثارا فكرية ملحوظة.

ومن أبرز هؤلاء العلماء الشيخ نور الدين علي بن أبي القاسم بن الشيخ سالم الشهير بالجمالي والشيخ محمد بن الشيخ جمال الدين المدبولي، وكذا محمد فارس الفولي (ت 1114هـ/1703م)[2]، والشيخ خليل المغربي (ت 1117هـ/1706م) الذي قال عنه الجبرتي "أنه كان حسن الإلقاء للعلوم، حسن التقرير والتحرير، حاد القريحة جيد الذهن، أماما في المعقولات، وحلالا للمشكلات"[3]، والشيخ أحمد الشرقي المغربي (ت 1133هـ/1721م)[4]، والشيخ عرفان بن عبد الرحمن بن موسى المالكي المغربي[5]، والشيخ أبو حفص عمر المغربي المالكي، والشيخ سالم بن مسعود.[6]

ومن العلماء المشهورين الذين كان لهم تأثيرهم الكبير على الحياة التعليمية والثقافية في مصر وبلاد المشرق العربي والمغرب العربي، الشيخ أبو الحسن بن عمر القلعي بن علي المغربي المالكي (ت

[1] يونان لبيب رزق، محمد مزين، تاريخ العلاقات المغربية المصرية منذ مطلع العصور الحديثة حتى 1912م، الدار البيضاء: دار النشر المغربية، 1982م، ص: 107.

[2] المرجع نفسه، ص: 105.

[3] عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تح: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1997م، ج1، ص: 424.

[4] الجبرتي، المصدر السابق، ج1، ص: 641.

[5] عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517. 1798م) دارسة في تأثير الجالية المغربية من خلال وثائق المحاكم الشرعية، تونس: منشورات المجلة التاريخية المغربية، 1982م، ص: 105.

[6] المرجع نفسه، ص: 106.

1199هـ/1785م)، تولى مشيخة رواق المغاربة في ثلاث مرات له شرح على رسائل في العروض للشيخ محمد باشا المعروف براغب (ت 1176هـ/1763م)، وكان معدودا من المشايخ الكبار حاز على ثقة الناس وإجلالهم[1]

والشيخ أبو عبد الله محمد بن طالب بن سودة المري الفاسي التاودي (ت1207هـ/1793م) عقد سنة 1182هـ/1769م درسا برواق المغاربة بالجامع الأزهر قرأ فيه "الموطأ" وحضره غالب الموجودين من العلماء، وكان هذا الشيخ يتردد على حسن الجبرتي وتلقى عنه بعض الرياضيات وكان له الكثير من التآليف[2]، والشيخ عبد العزيز بن الحسن الزياتي الذي درس علم القراءة عن الشيخ سلطان بن أحمد المزاحي الذي كان له مجلس بالأزهر، ويليه أبو عبد الله محمد الدلائي الذي رحل إلى القاهرة سنة 1080هـ/1670م، وأقبل عليه الطلاب والعلماء.

ولم يقل عدد الوافدين من العلماء المغاربة على مصر في القرن الثامن عشر، ومن الأسماء العديدة للعلماء الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكري الذي ناقش فقهاء مصر وعقد له مجلس حضره علماء الأزهر الذين ناصروه واستفادوا من علمه، ومنهم أيضا العالم عبد المجيد الزيادي الذي كانت له علاقة بعدد من الأعلام المصرية كالشيخ محمد كشك المصري ومحمد الحفناوي، ومن هؤلاء المشهورين أيضا الشيخ محمد السقاط الخلوتي المغربي (ت 1209هـ/1795م) الذي حضر إلى مصر وجاور بأزهرها وحضر دروسا في الفقه وأخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ محمد الكردي ولقنه الأسماء والأوراد والأذكار، ولازم الشيخ ملازمة كلية، ولما انتقل الشيخ محمود الكردي إلى رحمة الله صار هو خليفته بالإجماع، وأصبح يلقن الذكر للمردين[3].

وكان عدد كبير من العلماء الذين يتلقون العلم بمصر يفضلون العودة إلى بلدانهم بعد أن درسوا على أيدي علماء مصر، منهم الشيخ عبد الله بن محمد السوسي، والشيخ علي السقاط الفاسي (ت

[1] عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المرجع السابق، ص: 104. 105.

[2] المرجع نفسه، ص: 106.

[3] الجبرتي، المصدر السابق، ج2، ص: 395

1183هـ/1770م) الذي درس على يد الكثير من علماء عصره، وإبنه أحمد السقاط، والشيخ علي بن موسى الأزهري، ومن العلماء الذين جاوروا بالقاهرة علي بن عبد الواحد الأنصاري السلجلماسي الذي درس بمصر ورجع ليستقر بسلا[1].

وهناك طائفة من العلماء توجهت إلى مصر شأنها شأن غيرها في موسم الحج إلا أنها تخلفت عن العودة مع هذا الموكب، وبقيت لسنوات طويلة تتعاطى العلم أو تدرسه، ثم قرروا العودة إلى بلادهم وأصبح لهم مكانة عظيمة فيها اكتسبوها أساسا من خلال مدة بقائهم في المشرق، ومثال على هذا أبو بكر بن يوسف السكتاني الذي رحل إلى مصر ثلاث مرات وبقي فيها سنين عديدة، حيث تلقى الدروس والثقافات والمعارف إلى أن عاد إلى مراكش ليتصدر التدريس بها.[2]

وهناك طائفة أخرى وهي تلك التي رحلت إلى مصر واستقرت بها بشكل نهائي، لكن صلاتهم مع وطنهم بقيت مستمرة، ويلاحظ أن عدد العلماء المغاربة الذين استقروا بمصر وعاشوا بها حتى نهاية حياتهم، أكبر بكثير خلال القرن الثامن عشر مقارنة مع القرن السابق عليه، حيث حفل القرن الثامن عشر بأسماء هؤلاء منهم خليل بن محمد المغربي المالكي (ت1177هـ/1795م)[3].

ويمكن أن نفسر ظاهرة استقرار علماء المغرب بمصر وزيادة عددهم في القرن الثامن عشر بالاضطرابات التي كانت بعد موت المولى إسماعيل، والتي استمرت لثلاثين عاما، كما أن مصر عرفت خلال هذا القرن تفكك النظام العسكري العثماني، ودخول العناصر المدنية في ميادين الاستثمار فوجد أولئك العلماء الظروف الملائمة لاستقرارهم، غير أنه مع انتهاء القرن الثامن عشر حتى أخذ وفود العلماء المغاربة على مصر يتضاءل واقتصر بقائهم بها على فترات محدودة، ولعل ذلك راجع إلى أسباب عديدة أهمها نشوء الدولة الحديثة، وما ترتب على هذا النشوء من ظهور نوع آخر من أنواع

[1] يونان لبيب رزق، محمد مزين، المرجع السابق، ص:111.

[2] المرجع نفسه، ص: 111.

[3] يونان لبيب رزق، محمد مزين، المرجع السابق، ص: 112.

التعليم فقد شهدت مصر تحولات هامة في الجهاز التعليمي، الذي استحدثه محمد علي 1808. 1848م، ومن الواضح أن التواصل الثقافي بين مصر والمغرب الأقصى لم ينقطع[1].

يتضح من خلال هذا مدى التأثير الذي لعبه هؤلاء العلماء عن الحياة العلمية والثقافية في مصر في القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين، ويتضح أن طلبة العلم من المغاربة والمتصدرين للتدريس بالأزهر والمدارس المصرية اشتغلوا بكافة أنواع العلوم، ومارسوا مختلف الفنون الأدبية واللغوية والعلوم الرياضية والفلكية، ونقلوا علومهم التي تلقوها في بلادهم إلى طلبة مصر وعلمائها.

وقد امتد نشاط هؤلاء العلماء من التأليف إلى النسخ والاقتناء لمؤلفات غيرهم من العلماء المشارقة للاستفادة منها، والعكوف على دراستها، وأكبر دليل على هذا النشاط في مجال نسخ المؤلفات التي كتبت في مصر أو وجدت في مكتباتها في تلك الفترة، ونسخت عن طريق علماء ونساخ محترفين من المغاربة، حيث وجد خلال العهد العثماني نساخ محترفين ينسخون الكتب قصد بيعها، والاتجار فيها، أو يستأجرون للقيام بهذه العملية، وأخذت الكثير من المؤلفات المنسوخة للمغرب، وفي الكثير من الأحيان صارت هذه النسخ التي قام بنسخها المغاربة هي النسخ الوحيدة للكثير من المؤلفات العلمية الهامة بعد أن اندثرت أصولها نتيجة عوامل الزمن أو الاضطرابات التي شهدتها البلاد خلال الغزو الفرنسي[2].

وقد أظهر أبناء المغرب الذين أنهوا دراستهم بالأزهر امتيازا في مجال تخصصهم، واتخذوا من مصر وطنا ثانيا لهم خاصة بعدما أتيحت لهم فرصة الاشتغال بالتدريس، فأصبحوا من أعيان أهل الإفادة والتدريس بالجامع الأزهر، حيث تولى العلامة أبو العباس المغربي نظارة المدرسة الجوهرية، وهناك قائمة من العلماء المغاربة الذين وصلوا إلى منصب مشيخة رواق المغاربة، وهو من أعلى المناصب العلمية وهذا دليل على مكانتهم التي استطاعوا الوصول إليها، فلا يصل إلى هذا المنصب إلا أحد العلماء الذين يشغلون منصب التدريس بالأزهر ومن المشهود لهم بالكفاءة، كما امتد

[1] يونان لبيب رزق، محمد مزين، المرجع السابق، ص: 123.

[2] عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المرجع السابق، ص، ص: 107. 108.

نشاطهم إلى مختلف المناصب العلمية، والمناصب المتعلقة بالحياة الثقافية عموما[1]، فنجد خليل بن محمد المغربي تولي أمر خزانة "كتب المؤيد" مدة فأصلح ما فسد منها، ورممها وانتفع به الكثيرون[2].

وقد كان نشاط هؤلاء العلماء المغاربة مؤثرا وفعالا في الحياة الثقافية، ولم يكن تأثيرهم محليا إنما تعدى حدود مصر، لأن الكثير من هؤلاء العلماء لم يجاوروا بمصر وحدها، وإنما كانوا يتعلمون فيها ويعلمون بها، ثم يعدون إلى المغرب أو يواصلون رحلتهم إلى بلاد الشام أو الحجاز، حيث يعلمون وينشرون ثقافتهم فأصبحوا بمثابة رسل ثقافة وتعليم في ذلك العصر، وحمل بعضهم لذلك لقب الرحالة، وكانوا يعتزون بنسبة الأزهري، كما حمل بعضهم نسبة المصري إلى جانب المغربي[3].

2. رواق المغاربة بالأزهر الشريف:

تجمع المصادر على أن هذا الرواق كان من أقدم الأروقة التي شهدها الأزهر، حيث أنه يعد أقدم من عهد قيتباي[4] الذي أمر بإنشاء مساكن لطلاب الأزهر، ويقع الرواق بالجانب الغربي على يمين باب المغاربة، أحد أبواب الأزهر التسعة الرئيسية القديمة، وللرواق بابين وفيه مساكن علوية، ومكتبة كبيرة زاخرة بالمصادر في كل الفروع وكانت مفتوحة أمام طلاب العلم من المغاربة وغيرهم من الطلاب والعلماء، ومنه أصبح الرواق بمثابة مؤسسة ثقافية اجتماعية تقدم خدماتها لأبناء المغرب الإسلامي ومنه المغرب الأقصى، وترعاهم طوال مدة دراستهم في الأزهر، حيث كان الرواق يصرف مرتبات لأبناء المغرب من طرابلس إلى المغرب الأقصى[5].

وكان الرواق يتلقى العون المادي الضخم من التجار المغاربة في القاهرة والمدن المصرية، ومن الراغبين في أعمال الخير ومشجعي العلم من التجار والأثرياء، وقد سجلت وثائق المحاكم الشرعية

---

[1] عبد الرحمن بن الحسن الجبرتي، المصدر السابق، ص، ص: 108، 109.

[2] المرجع نفسه، ص: 442.

[3] المرجع نفسه، ص: 109.

[4] هو قيتباي المحمودي الأشرفي الظاهري أبو النصر سيف أحد سلاطين المماليك بمصر تولى الحكم من سنة 872هـ . 1467م/ 901هـ . 1496م (ينظر: جورجي زيدان، المرجع السابق، ص: 35.)

[5] عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المرجع السابق، ص: 99.

المئات من مختلف العقارات الموقوفة على رواق المغاربة داخل المدن المصرية وخارجها، وكان شرط الواقف الأساسي أن يكون المنتفع من ريع هذا الوقف من دارسي الفقه المالكي المجاورين من المغاربة، ولما ازدادت أوقاف الرواق وزاد دخله، استدعى ذلك وضع تنظيم لإدارة الرواق وجباية ريع هذه الأوقاف[1].

ومن الجدير بالذكر أن بعض طلبة الرواق وبخاصة أولئك الذين كانت تطول مدة إقامتهم بمصر عملوا على إيجاد موارد أخرى لمعاشهم إلى جانب مرتباتهم التي يحصلون عليها من ريع أوقاف الرواق، فنجد هؤلاء الطلاب مارسوا أعمال معينة إلى جانب اشتغالهم بطلب العلم، ومن ذلك فإن رواق المغاربة ظل المؤسسة التي ترى شؤون طلبة العلم المغاربة ومصالحهم حتى يكملوا دراستهم ويحصلوا على درجاتهم العلمية[2].

وقد أكد هذا التواصل وعززه وجود جامعات أخرى بالمشرق كجامع الأزهر، فكانت رحلات كل من الطلبة والأساتذة والشيوخ بين الجامعتين من أهم وسائل التواصل الثقافي، ومن أبرز دوافع استمراره ودوامه، فكل من الجامعتين القرويين والأزهر يعتبران من أقدم جامعات الدنيا، حيث تأسس القرويين في القرن التاسع وتأسس بعده الزهر في القرن العاشر[3].

وظلت كل من الجامعتين مقرا للدراسات الإسلامية الدينية والأدبية، كما أن المناهج الدراسية وطريقة الدروس والبحث والمناقشة في كل منهما كانت متشابهة ومتماثلة، وهكذا ظل التواصل قائما مستمرا بن القرويين وأبناء مصر ورجالها وعلمائها الذين اخذوا يرحلون إليها للأخذ عن شيوخها، والرواية عنهم والتلقي منهم، وملازمتهم لفترات تطول أحيانا وتقصرا أحيانا بحسب الحاجة والاستعداد والإمكانيات، ثم يعودون إلى بلادهم ليعلموا ويفيدوا يعد نهاية دراستهم وتعليمهم، أو

[1] عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المرجع السابق ، ص، ص: 99. 100.

[2] المرجع نفسه، ص، ص: 103. 104.

[3] يوسف الكتاني، جامعة القرويين ودورها في التواصل العلمي بين الشعبين المغربي والمصري، ضمن مجلة المناهل، العدد 32، ديسمبر 1990م الرباط: وزارة الشؤون الثقافية، ص، ص: 70 . 71.

يظلون بالقرويين لمواصلة الدروس والعطاء فيصبحون ضمن أساتذتها وشيوخها، أو يختارون القضاء والفتوى ويقبل عليهم أهل المغرب، ومن العلماء المصريين الذين وفدوا على القرويين ابن أبي شاكر الأربلي، وأبو علي القالي، وبن ميمون وسواهم كثير من أهل العلم[1].

3. دور العلماء المغاربة المجاورين بالحرمين الشريفين:

كان للعلماء المغاربة مكانة كبيرة بالحرمين الشريفين، حيث أن كبار علماء الحجاز تلقوا العلوم على أيديهم، فنجد الشيخ الشرواني وهو رئيس علماء الحنفية بالمدينة المنورة، يتلقى العلوم على أيدي المغاربة، فيأخذ صحيح البخاري عن الشيخ محمد الحريشي، واخذ كتاب ابن هشام على شرح التسهيل عن الشيخ محمد الطيب المغربي الفاسي درس بالحرم النبوي الشريف[2]، من أشهر الشيوخ المغاربة بالمدينة المنورة الشيخ محمد بن سليمان المغربي، الذي درس على يده الشيخ خير الدين إلياس مفتي السادة الحنفية بالمدينة المنورة، كما أخذ العلم أيضا من العربي الحريشي هو الآخر[3].

كما كان الشيخ أبو الوليد عبد الملك بن محمد التجموعي (ت1118هـ/1707م) من العلماء المغاربة المجاورين بالحرمين الشريفين، وكان بعد رجوعه للمغربي يعتز بما أخذه عن علماء المشرق ويقدم رواية أهل المشرق على رواية أهل المغرب[4].

وكان للمغاربة تواصل مع علماء مصر في الحجاز ، فنلاحظ أن غالب كبار العلماء المغاربة أخذوا العلوم عن المصريين بالبقاع المقدسة والعكس، فمثلا الشيخ محمد ابن القاسم الفيلالي أخذ العلم عن الشيخ عيد المصري المالكي النمرسي، كما درس الشيخ صالح الفيلاني على يد الشيخ علي بن أحمد الصعيدي، والشيخ الأمير، والشيخ علي الونائي المصري[5].

---

[1] يوسف الكتاني، المرجع السابق ، ص، ص: 73. 74.

[2] أبي الفضل محمد خليل بن علي المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، بيروت (لبنان): دار البشائر الإسلامية، (ط3)، 1998م، ج4، ص: 91.

[3] محمد فهيم بيومي، المرجع السابق، ص: 136.

[4] عبد الحي الكتاني، المصدر السابق، ج2، ص :255.

[5] محمد فهيم بيومي، المرجع السابق، ص: 136.

وكان للمغاربة تأثير في الحياة العلمية بالحرمين الشريفين من خلال مشاركتهم في التدريس في حلقات العلم، فكانت لهم حلقات في شتى العلوم، خاصة في الفقه المالكي والقراءات والتفسير والحديث، ومن أشهر هذه الحلقات حلقة الشيخ حمدون بن عبد الرحمن المعروف بابن الحاج السلمي، وكانت حلقته تعقد بالمسجد النبوي، ويدرس فيها "تفسير أبي السعود العثماني"[1]، وحلقة الشيخ علي السقاط المغربي كان يدرس فيها "كتاب الموطأ للإمام مالك"، وحلقة الشيخ أحمد الإدريسي المغربي كان يقرأ فيها كتاب "الجامع الصحيح" للإمام البخاري، وحضر فيها الكثير من العلماء في المدينة المنورة كالشيخ أحمد النخلي المكي، وكانت تعد من أهم حلقات التدريس في المسجد النبوي الشريف، ومن الحلقات العلمية أيضا حلقة الشيخ محمد الطيب التاودي، كما كان الشيخ حسن اليوسي من أبرز الفقهاء المغاربة الذين عقدوا حلقات علمية في رحاب المسجد النبوي الشريف[2].

وكانت الروضة النبوية المطهرة مكانا مهما للمغاربة لإلقاء دروسهم العلمية، ومن ذلك حلقة الشيخ محمد الفاسي نزيل المدينة المنورة (ت 1141هـ/1729م)، حيث قرأ في الروضة مسند الإمام أحمد وأتمه في ستة وخمسين مجلس، ودرس بالحرم النبوي وانتفع به العديد من الطلبة[3].

كما ساهم المغاربة في عدة علوم أبرزها علوم القرآن الكريم من قراءة وتفسير، ظهرت فيها مهارات المغاربة أمام نظرائهم من المشارقة، ومن المغاربة الذين اجتهدوا في علوم القرآن الشيخ أبو الحسن ابن عمر القلعي بن علي المغربي (ت 1199هـ/1785م)، الذي شرح بعض الرسائل في مصر التي وصلها سنة 1145هـ/ 1741م، قبل أن يصل إلى مكة المكرمة ويستقر بها، ثم يرحل إلى المدينة، وترك هذا الشيخ مصنفاته في علوم القرآن أبرزها كتاب "الفوائد والصلات والعوائد وخواص الآيات والمجريات التي تلقاها من أفواه الأشياخ"[4].

---

[1] هو تفسير ظهر في القرن العاشر الهجري، للشيخ التركي أبي السعود (ت 992هـ/ 1524م)، (ينظر: المرجع نفسه، ص:179).

[2] محمد فهيم بيومي، المرجع السابق، ص، ص: 174. 175.

[3] المرادي، المصدر السابق، ج4، ص : 60.

[4] محمد فيهم بيومي، المرجع السابق، ص: 178.

والشيخ محمد أبو عبد الله بن طالب بن سودة الفاسي (ت1209هـ/ 1795م) الذي اخذ علومه عن أبي عبد الله محمد بن عبد السلام البناني الفاسي، والشيخ أحمد بن عبد العزيز السلجلماسي من المغاربة، ثم رحل إلى المدينة المنورة سنة 1182هـ/1769م، وتلقى العلم من كبار مشايخها، برزت شخصيته العلمية بالمدينة المنورة في علوم القرآن وخاصة التفسير وترك آثارا مهمة تمثلت في مصنفاته التي تمثلت في "حاشية ابن الجزي المفسر" و"حاشية علي البيضاوي" والتي لم تكتمل، ومنظومة "فيما يختص بالنساء"، وعاد هذا الشيخ إلى بلاده حاملا معه ما تلقاه من علوم بالمشرق[1].

ومن العلماء المغاربة الذين جاوروا مكة الشيخ علي بن محمد السقاط الفاسي (ت 1210هـ/1796م)، حج سنة 1161هـ/1748م واستقر بالقرب من الحرم المكي لمدة طويلة، واخذ عن الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي (ت1161هـ/1760م)، والشيخ أحمد محمد النخلي والشيخ إبراهيم بن موسى الفيومي، والشيخ محمد الزرقاني، ومن المشارقة الذين أخذوا عن الشيخ السقاط الفاسي الشيخ عبد العليم بن محمد الفيومي، والشيخ شمس الدين الفرغلي[2].

كما برز من المغاربة في علوم القرآن الشيخ حمدون ابن عبد الرحيم بن حمدون الشهير بالحاج السلمي كما سبق، حيث كان مفسرا ومحدثا ورائدا في علوم القرآن، من أهم مصنفاته لتي ألفها بالمشرق حاشية على "تفسير ابن السعود"، و"تفسير للإمام البيضوي"، وتفسير لسورة الفرقان[3].

ومن الأمثلة التي سبقت نلمس جهود المغاربة في الحلقات العلمية والتدريس ومحاولتهم إيصال ثقافتهم إلى علماء وطلبة العلم من مختلف البقاع الإسلامية، فلم يكن المغاربة بالمشرق مجرد متلقين للعلم وإنما أيضا كان لهم الدور في تلقينه، وتمرير ثقافتهم إلى الأطراف المختلفة التي قابلوها.

[1] محمد فيهم بيومي، المرجع السابق، ص: 179.

[2] خاليد فؤاد طحطح، المرجع السابق، ص: 1.

[3] المرجع نفسه، ص: 1

4. الطرق الصوفية المغربية وتأثيرها بمصر:

لم يقتصر دور علماء المغرب الأقصى في مصر على مجرد تلقي العلم أو إلقاءه، بل الواضح أن هذا الدور قد خلف تأثيرات واضحة خاصة في تكوين الطرق الصوفية في البلاد[1]، حيث صاحب الحركة الفكرية انتشار الطرق الصوفية مثل القادرية والشاذلية والجازولية والرحمانية والدرقاوية، وقد مثلت الحركة الصوفية إحدى عوامل الاتصال بين المشرق والمغرب، ورغم انتشار التصوف في عدد كبير محافظات مصر فإن عدد كبير من مؤسسي الطرق ليسوا مصريين ربما يرجع ذلك لأن جميعهم رحالة واستقروا بمصر ومن أبرز الطرق الصوفية المغربية التي عرفت انتشارا بمصر الطريقة البدوية وتنسب هذه الطريقة للشيخ أحمد بن علي البدوي المولود بمدينة فاس بالمغرب، والشاذلي من مدينة سبتة المغربية وانتشرت زواياها لتشمل الفضائيين المغرب الأقصى ودول المشرق بما فيها مصر[2].

ومن المعلوم أن هذه الطرق قد انتشرت في مصر خلال العهد العثماني حتى بلغ عددها الثمانين طريق[3]، ومن هذه التأثيرات توافد بعض أتباع الطريقة الجازولية الشاذلية إلى مصر ودورهم في محاولة نشر طريقتهم، مثل الشيخ أحمد بن علي بن جميل الجعفري الجازولي السوسي الذي ذهب إلى مصر عام 1082هـ/1672م، وتوفي بها، وكنت له أثار بها منها قراءة كتابه "دلائل الخيرات" بالجامع الأزهر، كما نشأت بمصر طرق صوفية ذات أصل مغربي تماما، مثل الطريقة العيساوية، ويصفها الجبرتي بقوله "العيساوية هم جماعة من المغاربة وما دخل فيهم من أهل الأهواء ينسبون إلى شيخ من أهل المغرب يقال له سيدي محمد بن عيسى" [4].

---

[1] يونان لبيب رزق ومحمد مزين، المرجع السابق، ص: 154.

[2] عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المرجع السابق، ص، ص:14.15.

[3] توفيق الطويل، التصوف في مصر إبان العصر العثماني، مكتبة الآداب، ص: 91.

[4] عبد الرحمن بن الحسن الجبرتي، المصدر السابق، ص: 110.

المبحث الثاني: السلاطين العلويين وعلاقاتهم الثقافية مع المشرق.

نتج عن فترات الاضطراب في المغرب وفي أجهزة حكومته ظاهرة هجرة العلماء المغاربة إلى مصر ومختلف بلدان المشرق واستقرارهم بها، لكن فترات استقرار السلطة المركزية المغربية صحبتها ظاهرة هامة تمثلت في مساهمة السلاطين المغاربة في حركة التواصل الثقافي وبذلهم، كل العناية لتوطيد العلاقات الثقافية لبلادهم مع المشرق.

عرف عن سلاطين الدولة العلوية اهتمامهم بالعلم والعلماء، وحرصهم على تنشيط الحياة الثقافية ومتابعتها والمساهمة فيها، ولما كان المشرق يمثل مرجعية علمية ودينية للمغرب كان لابد لهؤلاء السلاطين الاهتمام بالحركة الثقافية بالمشرق، وربط السلاطين العلويين مع علماء من المشرق علاقات ثقافية، نابعة من اهتمام السلاطين بالنتاج الفكري المشرقي، أو عن تلك القضايا التي شغلت الرأي العام المغربي وكان لابد فيها من الأخذ برأي علماء المشرق.

ومن السلاطين الذين تسجل لهم المصادر التاريخية تواصلا مع علماء المشرق المولى إسماعيل الذي راسل علماء مصر يستفتيهم في قضية تمليك العبيد لما كان للعلماء بالمغرب رأي مخالف فرأى المولى إسماعيل بضرورة عرض الأمر على أنظارهم والاحتكام إلى تعاليم الشريعة الإسلامية[1]، فأرسل لعلماء الأزهر قائلا:" وقد أردنا وفقكم الله استفتائكم في مسألة مهمة في الدين ابتغينا فيها سلوك سنن المهتدين وهي أن هذه الأقطار المغربية كلها ثغور ورباط لقربها من مجاورة العدو الكافر، واحتياجها إلى جند كثيف يتأتى به الدفاع عن البيضة الإسلامية، وحين جاء الله بنا لهذا المغرب وجدناه فارغا من الجيش والعيش، وخفيف العمارة، بعيد العهد بالخلافة والإمارة...؟"، وأراد السلطان المغربي من خلال هذا الحصول على سند شرعي يعضد مشروعه[2].

وهناك شهادة في الموضوع لأبي عبد الله محمد أكنسوس الذي يقول في هذا الصدد "... قضية جمع العبيد مفصلة في الكناش الكبير الإسماعيلي وفيه تمييز المماليك والأرقاء المشترين شرعا والمجلوبين

[1] آسيا الهاشمي البلغيثي، المرجع السابق، ص: 255.

[2] الحاج ساسيوي الفيلالي، العلماء والسلطة بالمغرب الأقصى، ضمن مجلة كان التاريخية، العدد 15، مارس 2016، ص: 72.

من القبائل، ولم يدّع السلطان ملكيتهم، ووجه في ذلك أسئلة إلى العلماء بالمشرق والمغرب فأجازوا ذلك..."، [1]ونلمح من خلال هذه الرسالة مدى الأهمية التي احتلها العلماء المشارقة في المغرب، ومدى قوة العلاقات العلمية بين الفضائين.

ومن السلاطين الذين ساهموا في توطيد العلاقات الثقافية بين المغرب والمشرق وبشكل كبير السلطان المولى محمد بن عبد الله، فقد كان لمساهمته الأثر في تعزيز التواصل الثقافي بين الفضائين فقد كان هذا المولى يرسل إلى علماء مصر بشكل منتظم كل عام ومع ركب الحجيج المغربي معونات مالية ويأمر بتوزيعها، ويتولى هذا الأمر إما الباشا العثماني او أحد أبناء السلطان الذين يكونون على رأس ركب الحج[2]، حيث ذكر الجبرتي في حوادث عام 1200هـ/1786م وصول ما أسماها صدقات المولى محمد صاحب المغرب الموزعة على فقراء الأزهر، والمشايخ والمفتيين والشيخ البكري، والشيخ السادات، والعمرين موجب قائمة كتبها[3].

كما وجه في سنة 1204هـ/1790م نفس السلطان مع ولده سيدي عبد السلام هدية عبارة عن ألف سبيكة من الذهب مصحوبة بقائمة، وزعت على فقراء الإسكندرية ومدرسيها وسائر طلبة العلم بها، وطلبة القرآن، ثم بعد ذلك لمدرسي مصر والفقهاء وسائر طلبة الرواقات، وخصص اقل من نصفها للفقهاء والمدرسين بالأزهر، والباقي للطلبة على شكل منح دراسية.

كما كان السلطان محمد بن عبد الله يبعث بهبات خاصة لعلماء مصريين مكافأة لهم على ما أنجزوه من أعمال علمية حيث أرسل إلى الشيخ أبو الفيض سيدي محمد بن محمد لشهير بالمرتضي الحسيني الزبيدي هبة عام 1201هـ/1787م، وكان هذا العلم قد اكتسب شهرة فائقة، حيث كان

[1] الناصري، الإستقصا، ج 7، ص: 88.

[2] يونان لبيب رزق ومحمد مزين، المرجع السابق، ص: 117.

[3] عبد الرحمن حسن الجبرتي، المصدر السابق، ج2، ص: 157.

مقصد للمسلمين خاصة المغاربة[1]، كما بعث المولى محمد بن عبد الله بسفيره الحاج المكي كركاش الرباطي بصلات نقدية قيمة لعلماء وشرفاء الشام وبيت المقدس[2].

ولم تتوقف اهتمامات المولى محمد بن عبد الله على إرسال المعونات المالية لكبار المشايخ أو الطلاب، بل امتدت لتشغل نواحي أخرى ذات طابع ثقافي محض، حيث نرى هذا السلطان يلوم الشيخ الزبيدي على قيامه بشرح كتاب "الأحياء" قائلا: " كان ينبغي أن تشغل وقتك بشيء نافع غير ذلك، ويورد في مراسلته التي كتبها للزبيدي ما ذكره العلماء عن هذا الموضوع، كما عبر المولى عبد الله عن إعجابه بالقصيدة البائية التي نظمها العيدروس، وهي قصيدة بليغة ومطولة قد بلغت السلطان بواسطة الشيخ القادري بن سودة، الذي كتبها وجاء بها إلى المغرب مما دعا المولى محمد بن عبد الله إلى تخصيص هبة سنوية للعيدروس[3].

كما كان المولى عبد الله يستشير علماء الأزهر كلما عنت له بعض الأمور، وكان من أهم ما استشارهم فيه هو ما أحدثه من تنظيمات وتعديلات بجامع القرويين[4]، كما رفع لعلماء الأزهر منشورات متعلقة بإصلاحاته في مجال القضاء والتعليم طالبا مراجعتها من طرفهم وتقييمها على أساس النقد العلمي النزيه والبناء[5]، وقد أعجب علماء الأزهر بنهضته العلمية وبرامجه الإصلاحية، كما نوهوا بمجالسه العلمية التشريعية، ونبوغ علمائها وعلى رأس علماء الأزهر الذين راسلوه في هذا الصدد العلامة محمد بن محمد الأمير المالكي الأزهري، والشيخ محمد بن عبد الله المعطي الحريري الحنفي

[1] عبد الرحمن حسن الجبرتي، المصدر السابق، ص: 313.

[2] يونان لبيب رزق ومحمد مزين، المرجع السابق، ص: 335.

[3] المرجع نفسه، ص: 119.

[4] عبد الرحمن حسن الجبرتي، المصدر السابق، ج2، ص: 110. 111.

[5] ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد السلجلماسي، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تح: علي عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، (ط1)، 2008، ج 3، ص، ص: 251. 252.

الأزهري، وكانت المكاتبة والمشاورة متبادلة ومتواصلة بينه وبين علماء الأزهر المصريين وغيرهم عبر مجالسه العلمية السلطانية الخاصة[1].

وكان هذا المولى يطلع علماء المشرق على آراءه ونظرياته وبرامجه الإصلاحية، كما كانوا يوقعون مؤلفاته أو يذيلون توقيعهم بتقريظها والتنويه بقدراته العلمية، ومن مظاهر التعاون والتبادل والتفاعل الثقافي بين أئمته وعلماء المجالس العلمية للمولى وبين الشيوخ والعلماء بالمشرق وتعزيزا للتعاون والتواد الثقافي أرسل المولى مجموعة ضخمة من الكتب الأدبية والتاريخية لابن خلدون وبن خلكان ووجهها مع الكاتب الصنهاجي ليوقف بعضها بمصر وبعضها بالإسكندرية[2].

ولم تقتصر علاقات المولى محمد بن عبد الله الثقافية مع مصر لوحدها، فقد كان هذا المولى حريصا على الوحدة العربية الإسلامية يعمل على تمتين أواصرها على الصعيد العربي الإسلامي فكان لعلماء المجالس السلطانية للمولى محمد بن عبد الله تواصل مستمر مع علماء وشرفاء الحرمين الشريفين بالحجاز فكانت هدياه وصلاته لا تنقطع عن علماء وطلبة بيت الله الحرام والمدينة المنورة، ومن هذه الصلات المسترسلة ما كان يرسله لعلماء وأشراف مكة والمدينة المنورة واليمن مع ركب الحجيج كل سنة من هبات مالية خاصة ما بين سنة 1187هـ/1774م 1189هـ/1775م، حيث بلغ قدرها ثلاثمئة وخمسون ألف ريال[3].

وكان يحرص من منطلق التعاون والتبادل الفكري على ربط أمتن الصلات مع الدولة العثمانية بصفة عامة، وعلمائها وكتابها بصفة خاصة، وكان العلماء العثمانيون يخاطبونه في مراسلاته، مما يؤكد الأواصر العلمية لهذه الروابط هدية السلطان عبد الحميد (1187هـ/1774م . 1203هـ/1789م) إلى المولى محمد بن عبد الله التي كانت عبارة عن مجموعة من الكتب منها "الموطأ للإمام مالك"،

[1] الزياني، الترجمانة الكبرى، المصدر السابق، ص: 64.

[2] المصدر نفسه، ص: 64

[3] الناصري، المصدر السابق، ج8، ص: 70.

و"صحيح الإمام البخاري"، و"صحيح الإمام مسلم"، والمسانيد الستة و"الشمائل" و"عمل اليوم والليلة"[1]

ومما وطد دعائم هذه العلاقات العلمية السامية مع الدولة العثمانية سفارات العلامة المؤرخ الكبير أبو القاسم الزياني إلى القسطنطينية وهو من كبار علماء المغرب وفقهائه وكتابه ووزرائه، وخلال هذه السفارة اجتمع العلامة الزياني وبقية أعضاء وفده من العلماء بعلماء القسطنطينية، وفي مسجدها العتيق اجتمع بإمامه وخطيبه الولي الصالح مبارك بن عمر الصائفي، وبالعلامة الصوفي أبي الحسن علي بن مسعود الواسيني الذي ذاكره وحاضره كثيرا، وبالفقيه القاضي أبي عبد الله سيدي الحفصي العلمي الذي استضافه وأكرمه، وأبي القاسم المحتالي، والمفتي العلامة أحمد بن مبارك العلمي، والعلامة محمد المجاري الخوجة، الذي آنسه وأكرمه وأخذ عنه، والكاتب محمد بن كشك، كما عد باي القسطنطينية مجلس علمي لعلماء بلده واستدعى له ابي القاسم الزياني، وظل يستدعيه كل جمعة لحضور مجالسه المختلفة مع علمائه وادباءه[2].

كما عين السلطان المولى محمد بن عبد الله محمد بن عثمان المكناسي سفيرا لدى السلطان العثماني، وأمره بالتوجه أولا إلى القسطنطينية العظمى وأرسل معه هبات لأهل الحرمين الشريفين، كما أمره بتدوين كل ما يراه[3]، وفي سنة 1200هـ/1789م وعند وصوله للقسطنطينية سلم مكتوب المولى محمد بن عبد الله للسلطان العثماني، طال به المقام بالعاصمة العثمانية، مما مكنه من التفرغ للمشاهدة والتعرف على المعالم الثقافية لهذه المدينة، وكذلك ارتياد المكتبات والنهل منها، حيث أشار إلى هذه المؤسسات بالإعجاب بما في المدينة من خزائن الكتب المعتبرة التي لا يوجد مثلها في سائر البلاد، فذكر أن بكل مسجد خزانة، وأن هناك خزائن أخرى من غير مساجد تظل مفتوحة للمطالعة والنسخ، وأنه لا تخرج ورقة منها، وقد نسخ ابن عثمان أبوابا كاملة من كتب متعددة سواء الموقوفة في

[1] يونان لبيب رزق ومحمد مزين، المرجع السابق، ص: 335.

[2] الزياني، الترجمانة الكبرى، المصدر السابق، ص: 153.

[3] ابن عثمان المكناسي، المصدر السابق، ص: 49.

المكتبات أو الخزانات أو من الكتب التي اقتناها خلال سفره[1]، وذكر المكناسي الكتب العلمية ونظام التعليم وذكر أنه حررها من أفاضل العلماء من بينهم العالم المشهور صدفي مصطفى، ويذكر أنه كان على اتصال معه[2].

ومثلت هذه الرحلات شكلا من أشكال التواصل الثقافي بين الدولة العلوية والعثمانية، فمثل هؤلاء السفراء رسلا للثقافة عملوا على تعزيز التواصل بين هذين القطرين بعد مراحل من القطيعة.

تابع المولى سليمان سياسة والده محمد بن عبد الله على الصعيد الخارجي، فوسع دائرة التعاون والتبادل الثقافي مع ول العلم العربي والإسلامي، فقرب كبار علمائه واستدعى الأئمة والأعيان وأشركهم في أعمال مجالسه العلمية، والأدبية وقضاياه المطروحة لاسيما الدينية الموحدة المشتركة، فقد تبادل الرسائل والأطروحات العلمية والمكاتبات الإخوانية مع ملوك ورؤساء وعلماء وقضاة العالم العربي والإسلامي، ولاسيما بالحجاز وتركيا، وتكريسا لسنة والده كان يرسل باستمرار أموالا طائلة إلى علماء وأشراف مصر والحرمين الشريفين بواسطة شيخه ابن عبد السلام الفاسي، ولعل أهم ما قام به المولى سليمان لتعزيز التواصل الثقافي هو عقد مجلس علمي بالخارج، تحديدا بالحجاز سنة 1227هـ/1812م في إطار الصلات العلمية والثقافية بين البلدين ولمحاورة علماء الحجاز حول المذهب الوهابي[3]، وهو ما سنتطرق إليه بالتفصيل في المبحث الثالث.

كما عمل المولى عبد الرحمان على توطيد علاقات التعاون والتبادل الثقافي بين المغرب وبلدان المشرق، وفي إطار النشاط العلمي والثقافي وعمله على تمتين التعاون والتبادل الثقافي، وفي هذا النطاق وفد على المولى عبد الرحمن بن هشام الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد البخاري بعد أن قضى عشر سنوات بالهند يدرس العلم في إطار الدعوة الإسلامية، وكان متضلعا في علم الحديث والأسانيد

[1] ابن عثمان المكناسي، المصدر السابق، ص: 92.

[2] المصدر نفسه، ص: 97.

[3] الناصري، المصدر السابق، ج 8، ص، ص: 118. 120.

والسير والأحكام، فأذن له المولى عبد الرحمن في حضور مجلسه العلمي ناقلا الأفكار التي أتى بها إلى هذه المجالس السلطانية العلمية[1].

ومن العلماء المغاربة الذين أوفدهم المولى عبد الرحمن بن هشام إلى الحجاز لتوطيد دعائم التعاون والتبادل الثقافي العلامة المهدي بن طالب بن سودة شيخ المولى عبد الرحمن في صحيح البخاري، وشيخ مجالسه العلمية السلطانية الحديثية، كما بعثه السلطان إلى مصر على رأس وفد يضم الأمين الحاج محمد الرزين والحاج بوجتان البارودي وأرسل معه صلات إلى مائة وخمسين عالم من علماء الأزهر الشريف على اختلاف مذاهبهم، وكان هذا الوفد العلمي لقاءات علمية ومحاضرات ومناظرات مع علماء الأزهر، وفي إطار هذه الرحلات العلمية المتبادلة أكرم المولى عبد الرحمن العلامة الوافد يوسف بن بدر الدين المدني وبالغ في إكرامه والإنعام عليه، عقد له لقاءات مع علماء مجالسه العلمية، ولما هم بالانصراف أرسل معه رسالة تهنئة وتعزية للسلطان عبد الحميد خان يهنئه ببيعته، ويعزيه بالسلطان الفقيد محمود خان[2].

كما وفد على المولى عبد الرحمن من بيت الله الحرام أبو لربيع سليمان بن عبد الله الشيبي القريشي، والأمير الأنصاري المدني، والشيخ محمد صالح البخاري الذي عقد بالمغرب حلقات دراسية تحت رعاية المولى عبد الرحمان فانتفع بعلمه خلق كبير من أهل المغرب الأقصى، كما استقبله المولى عبد الرحمن وعقد له مع شيوخ وأئمة وعلماء مجالسه العلمية السلطانية لقاءات وجلسات علمية شيقة حضرها مؤلف مخطوط الابتسام عن دولة ابن هشام السيد محمد بن ادريس العمراوي، وتوظيفا لرحلات الحج في خدمة التعاون والتبادل الثقافي أرسل المولى عبد الرحمن أموالا كثيرة لتوزع على العلماء والشرفاء والمحتاجين بالحرمين الشريفين بواسطة ولديه الأمير المولى سليمان والمولى الرشيد[3].

[1] يونان لبيب رزق، محمد مزين، المرجع السابق، ص: 453.

[2] المرجع نفسه، ص: 453.

[3] المرجع نفسه، ص: 453.

المبحث الثالث: الحركة الوهابية وتأثيرها الثقافي الديني بالمغرب:

الوهابية حركة إسلامية قامت في شبه الجزيرة العربية في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، على يد محمد بن عبد الوهاب (1114. 1206هـ /1703. 1792م)، تقوم على تنقية عقائد المسلمين والتخلص من العادات والممارسات التعبدية التي انتشرت في بلاد الإسلام في تلك الفترة، كالتوصل بالقبور والأولياء والبدع بكافة أشكالها، والتي تراها الوهابية مخالفة لجوهر الإسلام التوحيدي، نبعت الحركة الوهابية من أهل السنة والجماعة، ويصفها أتباعها بأنها دعوة إلى الرجوع للإسلام الصحيح، أي طريقة السلف الصالح، في إتباع القرآن والسنة والاعتماد المباشر على النص[1].

يرى أتباع الحركة الوهابية أنها ظهرت من أجل تطهير عقائد المسلمين من البدع والخرافات التي إنسابت إليها من خلال الأجيال المتعاقبة، ومحاربة العادات والأفكار الوثنية[2]، بجميع صورها ويمكن إجمال تعاليم الحركة الوهابية في أربعة عناصر هي التوحيد، ومحاربة البدع، والجهاد والدعوة إلى الاجتهاد، وعملت الوهابية على بعث وأحياء أفكار الشيخ ابن تيمية الذي عاش خلال القرن الثامن الهجري، كما تنسب نفسها إلى الإمام أحمد بن حنبل الذي عاش في القرن الثالث الهجري، ويرى البعض أنها تجاوزت الطرح التيمي والحنبلي حينما حكمت على عموم المسلمين بالشرك والوثنية والعودة إلى الجاهلية[3].

وبالنسبة لتعاطي المغاربة يعكس مواقفهم من قضايا عصرهم بشكل عام، فقد شكلت الوهابية واحدة من الأفكار والرؤى التي فرضت نفسها في الوسط العلمي المغربي وتسببت أحيانا في صنع تاريخ الفكر الإصلاحي بالمغرب الأقصى، خصوصا مع النكسات التي أصابت الفكر الديني المغربي لاسيما فيما يتعلق بتفشي البدع والخرافات، وعقب الانتصارات التي أحرزها الوهابيون خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، عرفت أخبار الوهابية انتشار في العالم الإسلامي، ويمكن أن نصطلح

[1] محمد منصور، المرجع السابق، ص: 228.

[2] فقيقي محمد الكبير، الحركة الوهابية في كتابات المغاربة، المرجع السابق، ص: 15

[3] المرجع نفسه، ص: 20.

على هذه المرحلة من عمر الحركة الوهابية وتعاطي المغاربة معها بمرحلة التلقي الأولى، حيث كانت بمثابة المحطة التأسيسية للعلاقة بين المغرب والوهابية، وعرفت هذه المرحلة مواجهات عنيفة بين العثمانيين والوهابيين أسفرت عن سقوط الدولة السعودية الأولى[1].

1. علاقة السلطان محمد بن عبد الله بالوهابية:

تزامنت الحركة الإصلاحية للسلطان محمد بن عبد الله في المجال التعليمي والديني مع ظهور وانتشار الحركة الوهابية، وبدأت تساؤلات حول العلاقة بين الحركتين ليستقر رأي البعض على أن حركة السلطان تمخضت عن موجة المد الوهابي[2]، وتؤكد العديد من المصادر على أن سلفية محمد بن عبد الله تأثرت بصدى الدعوة الوهابية بحكم تزامن الحركتين، وإمكانية انتقال أفكار الوهابية إلى المغرب عبر حركة أركاب الحج المتوافدة سنويا، وكذلك من خلال العلاقة الوطيدة التي جمعت السلطان بأمراء الحجاز، بالإضافة إلى أوجه التشابه بين الحركتين في التوجهات الفكرية، فيرى بعض الباحثين والمؤرخين أن الحركة الوهابية أصبحت أساسا لإيديولوجيا الإصلاح في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والنصف والأول من القرن التاسع عشر[3].

وقد ظهرت الملامح الأولى للوهابية في المغرب في الاتجاه الديني السلفي الذي عرف به السلطان محمد بن عبد الله، فرغم أن الوهابية لم تتلقى صدى واسع إلا بعد فترة غير قصيرة من ميلادها، إلا أن ذلك لم يكن ليمنع تسرب أخبارها ومقولاتها إلى مكة والمدينة المنورة في مواسم الحج، ومنه وصول أخبارها إلى بقية الأقطار بما فيها المغرب الأقصى، ومع أن رحلات الحج المغربية المدونة في تلك الفترة تكتفي بالإشارة السريعة للدعوة الجديدة وتسكت عنها في أحيان كثيرة، لكن هذا ليس بمانع من أن يكون أصحاب الرحلات الغير مدونة من الحجاج نقلوا بالرواية الشفوية بعض أخبار

[1] فقيقي محمد الكبير، الحركة الوهابية في كتابات المغاربة، المرجع السابق، ص: 20.

[2] المرجع نفسه، ص: 28.

[3] عبد القادر العافية، ملامح عن الحركة الفكرية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ضمن مجلة دعوة الحق، العدد 273، ص: 1.

الدعوة ومقولاتها، وتحدثوا بها عند عودتهم إلى بلادهم، ولعل الدليل على هذا ما عرف عن محمد بن عبد الله من تعلقه بالعقيدة الحنبلية، ومحاربته لبعض الزوايا[1].

لكن هذه الآراء لا ترتكز على وقائع تاريخية محددة، بل ترجح وجود اتصال وتفاعل بين الحركتين بحكم قاعدة التزامن والتشبه، إضافة إلى الروابط الدبلوماسية بين المغرب الأقصى والحجاز، وتغيب العوامل المؤثرة فعلا في التكوين الفكري والسياسي للمولى محمد بن عبد الله، ويفيد السياق التاريخي انه في الوقت الذي تبنى فيه محمد بن عبد الله العقيدة الحنبلية، كانت الحركة الوهابية لا تزال تثبت أقدامها في شبه الجزيرة العربية، لذلك يرى المؤرخون أنه لا يوجد هناك أي شيء إطلاقا يدل على أن المولى محمد بن عبد الله كان له ادني علم بالحركة الوهابية الفتية، والتي أعلنها محمد بن عبد الوهاب سنة 1157هـ/ 1744م، والتي كانت حتى بداية القرن التاسع عشر محصورة في الجهة الشرقية من شبه الجزيرة العربية، بعيدة عن الأماكن المقدسة[2].

ومما يؤكد أن محمد الثالث لم يكن وهابيا، ولكن كان سلفيا في حدود السنة النبوية التي لا تتمثل بالضرورة في مذهب معين[3]، أن المؤرخين المعاصرين للمولى محمد بن عبد الله كالزياني أكدوا على تفوقه الفكري والعلمي، ومشاركته في جميع الفنون والعلوم واعتناءه بدراسة الحديث والسنة بتفحص، ورغم انتشار الممارسة التعبدية من قديس للأولياء والأضرحة ونحوها مما تنبذه الوهابية كانت قد تجذرت في المغرب الأقصى منذ عدة قرون، إلا أن محمد بن عبد الله تقبل تلك الممارسات، وكان يرى أنها لا تشكل خطر على العقيدة، وعمل على إرشادها وتهذيبها بالعلم والتربية، كما أن المولى محمد كان حريصا على وحدة المجتمع المغربي، وبناء الدولة المغربية الحديثة، لذلك فإن دعوته للرجوع

[1] عبد القادر العافية، ملامح عن الحركة الفكرية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ضمن مجلة دعوة الحق، العدد 273، ص: 1.

[2] فقيقي محمد الكبير، الحركة الوهابية في كتابات المغاربة ، المرجع السابق، ص : 42.

[3] ابراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب، المرجع السابق، ص: 81.

إلى أصول الدين لم تكن لتحقيق مقاصد دينية فقط، وإنما كانت له مقاصد سياسية تمثلت في بناء الدولة الحديثة[1].

2. الدعوة الوهابية وصداها بالمغرب:

شهد عهد المولى محمد بن عبد الله غياب أخبار الوهابية، لكن في فترة حكم ابنه سليمان 1792. 1822م، تسجل الرحلات والمصادر المغربية في هذه الفترة بعض الأخبار عن هذه لحركة، حيث يسجل الرحالة ومؤرخ الدولة العلوية أبو القاسم الزياني الذي عاصر فترة حكم السلطانين محمد بن عبد الله وابنه سليمان خبرا عن الوهابيين خلال حجته الأخيرة سنة 1208هـ/ 1794م، فذكر محاربة الوزير العثماني يوسف باشا بالحجاز لمحمد بن عبد الوهاب، ويشير إلى تصاعد المواجهات العسكرية بين العثمانيين والوهابيين في الحجاز[2]، وما عدا ما أورده الزياني لا نكاد نجد في الرحلات الحجازية الأخرى ذكرا للوهابية، ولعل ذلك راجع إلى انقطاع ركب الحج المغربي لمدة أربعة سنوات بسبب الحملة الفرنسية على مصر والشام 1798. 1801م[3].

وبدأت أخبار الوهابية تصل إلى المغرب منذ سنة 1798هـ/ 1803م، تحديدا مع احمد بن عبد السلام البناني الذي نقل أخبار الوهابية بعد رحلته إلى الحج، فقد صادف بن عبد السلام البناني ومن معه من الحجاج المغاربة حالة النزاع العسكري بين الوهابيين وأشراف مكة، ومع ذلك فقد تمكنوا من إتمام رحلتهم لأداء فريضة الحج، وتمكنوا من تخطي الحصار المضروب على المدينة المنورة وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان هؤلاء الحجاج هم أول من نقل أخبار الوهابية إلى المغرب الأقصى[4].

[1] آسيا الهاشمي البلغيثي، المرجع السابق، ج1، ص : 330.

[2] الزياني، الترجمانة الكبرى، مصدر سابق، ص: 189.

[3] فقيقي محمد الكبير، الحركة الوهابية في كتابات المغاربة، المرجع السابق، ص: 78.

[4] محمد منصور، المرجع السابق، ص: 232.

ولم تكن هذه الأخبار المنقولة شفوية فحسب، بل كان الحجاج محملين بوثائق مكتوبة تشرح مبادئ الحركة الوهابية، أرسلت مع شيخ الركب المغربي، كما أن البناني يذكر انه عاد إلى مدينة فاس سنة 1218هـ/ 1803م، وهو يحمل معه رسالتين متعلقتين بالعقيدة الوهابية، أحدهما كبرى جلبها من المشرق، وأخرى صغرى حصل عليها بمدينة قسنطينة، ويؤكد خبر وصول هذه الوثيقة إلى المغرب الأقصى شيخ الجماعة بفاس، الشيخ الطيب بن كيران.

وقد اطلع السلطان سليمان على الرسالتين الواردتين، وعلى ذلك فإن اطلاع المغاربة على المذهب الوهابي لم يكن لأول مرة سنة 1226هـ/ 1811م عندما حصل علماء فاس على نسخة من رسالة وجهها سعود بن عبد العزيز إلى علماء تونس، ووصلت إلى المغرب عبر تونس بل كان منذ 1218هـ/ 1803م، غير أن الزياني يشير إلا أن هذه الرسالة بعثت بطريقة مباشرة إلى علماء المغرب دون وساطة علماء تونس، وهذا ما يؤكده الناصري في "الاستقصا"[1]، وتضمنت الرسالة الدعوة إلى إتباع السنة النبوية، واستنكار التوسل بالأموات من اولياء وأشباههم والتقرب إليهم بالزيارة وذبح القرابين، واستنكار التوسل بالرسول نفسه، وبناء القباب على قبور الأنبياء والأولياء اعتمادا على تعاليم نبوية، والعمل على قتال من خالف سنة الرسول بهذا الشأن[2].

ومنه فإن أفكار لوهابية إذ كانت قد وصلت سنة 1218هـ/ 1803م بطريقة غير مباشرة، فإنها في سنة 1226هـ/ 1811م قد وصلت أخبارها بشكل رسمي ومباشر، وهي نفس السنة التي حملت المولى سليمان على الرد[3].

[1] بهيجة سيمو، المرجع السابق، ص، ص: 45، 46.

[2] إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب، المرجع السابق، ص: 83

[3] بهيجة سيمو، المرجع السابق، ص: 46

3. علاقة المولى سليمان بالحركة الوهابية:

رغم اهتمام المولى سليمان بشأن الوهابية منذ وصول رسائلها كما تقدم سنة 1218هـ/ 1803م، إلا وأنه لاعتبارات سياسية بالدرجة الأولى فإن رده قد تأخر إلى سنة 1226هـ/ 1811م، حيث ان ردود الشيوخ والعلماء المغاربة كان رافضا للأطروحة الوهابية مثل الشيخ ابن كيران، والشيخ أحمد بن عبد السلام البناني، وإزاء هذا الرفض سواء من العلماء، أو من العامة كان صعبا على السلطان أن يتبنى موقف مغايرا، لكنه أقدم سنة 1219هـ/ 1804م على منع القبائل المجاورة للرباط من إقامة موسم بضريح سيدي يحي بن منصور، كما أمر في السنة الموالية بهدم القبة التي بنيت على ضريح والده، وأصدر رسالة هامة سنة 1221هـ/ 1806م هاجم فيها بعض الطرق الصوفية التي تستعمل الطرب والرقص لأغراض دينية[1].

وقد ظهرت النزعة السلفية للمولى سليمان بشكل واضح عندما ندد ببدع المواسم في خطبته الشهيرة، ورأى أن الإنفاق على هذه المواسم التي أصبحت تخصص لها أوقات وأموال معلومة، غير جائزة شرعا، فلا النبي صلى الله عليه وسلم، ولا صحابته الكرام، ولا التابعين فعلوا هذا، فكان يرى أن التقرب إلى الله لا يكون بالغناء، وان من أراد أن يتقرب إلى الله يكون بالصدقة يوجهها إلى الحاجة، ويطيع الله، ويؤدي الفروض، ويجاهد النفس، ويرعى السنة في المواسم والأعياد، وكان السلطان سليمان يستنكر ممارسات أتباع الطرق الصوفية بالمغرب أشد استنكار، واعتبرها من البدع، ووصل به الأمر إلى حد تحريمها[2].

وفي سنة 1226هـ/1811م جاء الرد الرسمي للسلطان سليمان على رسالة سعود بن عبد العزيز[3]، وهي نفس السنة التي باشر فيها والي مصر محمد علي باشا مواجهته العسكرية للدولة السعودية

---

[1] فقيقي محمد الكبير، الحركة الوهابية في كتابات المغاربة ، المرجع سابق، ص: 84.

[2] الزياني، الترجمانة الكبرى، المصدر السابق، ص، ص: 467. 469.

[3] هو ابن محمد بن سعود الذي كان حاكما للدرعية وتحالف مع محمد بن عبد الوهاب لنشر الدعوة الوهابية ومؤسس الدولة السعودية الأولى وتولى الحكم بعد أبيه أغتيل سنة 1218هـ/ 1802م ينظر: فقيقي محمد الكبير، الحركة الوهابية في كتابات المغاربة، المرجع السابق، ص: 23.

بتكليف من السلطان العثماني، وهذا ما يرجح أن لهذا التوقيت أبعاد تدخل ضمن إستراتيجية المولى سليمان لإضعاف مركز الأتراك في الشمال الإفريقي، وكسر شوكتهم بالقطر الجزائري التي اشتدت وطأتها على المغرب الأقصى، وبرر السلطان سليمان تحريره للرسالة في هذا الشأن وإرساله لوفد رسمي يطلع على الأحوال السائدة بالحجاز ويستطلع أراء قادة الحركة الوهابية، أنه لضرورة إحياء فريضة الحج التي تعطلت لسنوات بسبب المواجهات العسكرية والدعائية بين الوهابيين وأشراف مكة الموالين للسلطة العثمانية، وقد تمكن السلطان سليمان من إقناع العلماء بفكرته خاصة بع التطورات التي أعقبت سنة 1221هـ/ 1806م بعد استقرار الأمر للوهابيين في الحجاز وتغير مواقف العلماء إزاء مسؤولية الوهابيين في انقطاع الحج[1].

وهذا التغير في أراء العلماء شجع السلطان سليمان لإرسال وفد سنة 1227هـ/1812م، في إطار اهتمامه بالحركة الوهابية وكان هذا الوفد برئاسة المولى إبراهيم بن السلطان المولى سليمان من الناحية المغربية[2] والتقى بالسلطان سعود وعقد الوفدين مجلس حول المذهب الوهابي ومبادئه وأبعاده وأهدافه، وقد ضم هذا المجلس الذي انعقد في السعودية أعيان علماء الحجاز، وجهابذة علماء المغرب منهم الفقيه العلامة القاضي سيدي محمد بن إبراهيم الزداغي، ولفقيه العلامة القاضي سيدي العباس بن كيران الفاسي، والفقيه الشريف سيدي الأمين بن جعفر الحسن الرتيبي، والفقيه المؤقت السيد عبد الخالق الودي[3].

وقد افتتح هذا المجلس أعماله بقراءة جواب السلطان المولى سليمان على الرسالة التي وجهها محمد بن عبد الوهاب إلى الأفاق داعيا لمذهبه الوهابي، والتي وصلت إلى المغرب بواسطة مفتي الديار التونسية التي بعثها إلى علماء فاس أعضاء المجالس العلمية السلطانية، والتي كان لها أثر وصدى كبير لدى المولى سليمان، وكانت مهمة الوفد توضيح موقف المولى سليمان من المذهب الوهابي، وتبليغ

[1] فقيقي محمد الكبير، الحركة الوهابية، ص: 84.

[2] بهيجة سيمو، المرجع السابق، ص: 47

[3] الناصري، المصدر السابق، ج8، ص، ص: 118. 120.

رسالته التي أشاد فيها بالطابع الإصلاحي للحركة الوهابية ومحاربة البدع المستحدثة، والرجوع إلى الدين الصحيح، كما أنتقد المولى سليمان أراء الوهابيين بخصوص بعض المعتقدات منها تكفير أهل القبلة، والتأكيد على شرعية الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم، ودعاهم إلى سلك طريق الحوار والتسامح مع خصومهم المخالفين لهم في الرأي، ومنه فإن الرسالة حملت جانب أشاد بجهود الوهابيين في إحياء السنة والتوحيد، لكنها تضمنت انتقادات منها الغلو، والنزعة التكفيرية، ورجع الوفد إلى المولى سليمان فأطلعه على نتائج المجلس الذي عقدوه هناك مع علماء الحركة الوهابية، ورؤسائها، وسلطانها، وسلم له وثائق ومحاضر ذلك من قرارات وتوصيات وبيان ختامي[1].

كان لتعاطف المولى سليمان مع الدعوة الوهابية أثارا أبرزها تلك حركة الإصلاحية المستلهمة من أفكار الوهابية القادمة من الشرق، التي يتجاوب معها بعض رجال النخبة مثل المؤرخ محمد أكنسوس الذي كان وزيرا وكاتبا، وبعض علماء القرويين مثل الفقيه محمد بن المدني بن عبد الله، وأصبحت أفكار هذه الحركة المتسربة من المشرق بمثابة إديولوجية الدولة في هذه المرحلة، لكن رغم تبني السلطان وبعض عناصر النخبة ورجال المخزن لهذه الحركة إلا أن أفكارها لم تجد إقبالا كبيرا لدى العامة، وقد واصل السلاطين الذين تعاقبوا على عرش المغرب بعد المولى سليمان ممارستهم الإصلاحية المبينة على الجانب الديني، وأبقوا على التأثيرات السلفية فواصل المولى عبد الرحمن نفس النهج الذي رسمه المولى سليمان في إحياء السنة ورفض البدع[2].

يندرج وصول أفكار الحركة الوهابية للمغرب ضمن العلاقات الثقافية والفكرية بين المشرق والمغرب الأقصى، ويعد انتقال هذا المذهب نتيجة للتفاعل بين الفضائين، ويمثل التيارات الفكرية الوافدة من المشرق إلى المغرب، وقد تعاطى المغاربة مع هذا الفكر منذ بدايات ظهوره وتأسيسه، سواء بالسلب أو بالإيجاب، فقد شكلت الوهابية واحدة من الرؤى والأفكار التي فرضت نفسها في الوسط

[1] بهيجة سيمو، المرجع السابق، ص: 47.

[2] المرجع نفسه، ص: 52.

العلمي المغربي فتحولت إلى قناعة فكرية لدى فريق من المغاربة وتسبب في صناعة فكر إصلاحي، بينما ظلت منبوذة من طرف فريق آخر.

نستنتج مما سبق أن المغرب جمعته علاقات ثقافية مع المشرق، توطدت بفعل حركة العلماء المجاورين بمختلف الحواضر العلمية بالمشرق خاصة بالأزهر الشريف بمصر والحرمين الشريفين، في حين يتجلى لنا غياب الدور والتأثير الثقافي للعلماء المغاربة بالشام، إلا أننا نسجل بعض الروابط الثقافية التي جمعت المغرب بالدولة العثمانية خاصة في عهد السلطان محمد بن عبد الوهاب الذي تميز عهده بالانفتاح، وتجلى ذلك من خلال السفراء الذين بعث بهم هذا السلطان للباب العالي، ورغم أن هؤلاء السفراء كانت مهمتهم دبلوماسية بالدرجة الأولى، إلا أنهم وبفضل مستواهم العلمي ساهموا في تحقيق التواصل الثقافي لبلدهم بالدولة العثمانية، ولعل أبرز التيارات المشرقية التي أثرت في الأوساط الثقافية والدينية المغربية هي الحركة الوهابية القادمة من الحجاز، ورصدنا اهتمام المولى سليمان بالخصوص بهذه الحركة وهو انعكس فيما بعد في حركته الإصلاحية، إضافة إلا ما أحدثته هذه الحركة في أوساط العلماء بالمغرب بين مؤيد ومعارض.

الخاتمة

يمثل موضوع التواصل الثقافي دراسة للتفاعل الحضاري بين المشرق والمغرب الأقصى، وتمثل هذه العلاقات الثقافية بين الدول حلقة مهمة في التاريخ الثقافي والفكري، وعكست جوانب عديدة من الحياة الثقافية لهذه الدول، وسلطت الضوء على أبرز عناصرها، وظهر التفاعل الثقافي بين هذين القطرين نتيجة الحاجة للتطور عبر الاطلاع على تجارب الآخرين، ونتيجة لعدة عوامل أبرزها العامل الديني والحضاري.

وقد شهد المغرب الأقصى خلال الفترة الممتدة من النصف الثاني من القرن السابع عشر إلى غاية النصف الأول من القرن التاسع عشر تحولات سياسية كبيرة تمثلت في قيام دولة العلويين التي وحدت المغرب الأقصى وقضت على الزعامات المحلية المتناحرة فيما بينها على السلطة وتأرجحت الظروف الداخلية بين فترات الاستقرار والفوضى، فانعكس هذا الوضع على مختلف جوانب الحياة أبرزها الجانب الثقافي الذي لم يختلف كثيرا عن ما عرفته الحياة الفكرية في العالم الإسلامي بصفة عامة، حيث اهتم المغاربة بالعلوم النقلية وكان التعليم بدائيا لا يرقى إلى ما كانت تعايشه مدارس أوربا من حداثة باستثناء بعض النماذج.

أما المشرق فقد خضع منذ العقد الثاني من القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي للخلافة العثمانية بمختلف أقطاره مصر الحجاز والشام، وعرف العديد من التطورات السياسية كالحملة الفرنسية على مصر وحروب محمد علي بالشام، بالإضافة غلى الصراع على السلطة الذي عرفه المشرق بعد الضعف الذي عرفته الدولة العثمانية وتراخي قبضتها على المنطقة مما فتح المجال أمام حركات التمرد والانفصال ومحاولات الاستقلال، وارتبطت الحياة الفكرية بالمشرق بالظروف العامة ففي فترة الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية يحدث ركود فكري، في فترة الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي والاجتماعي يسجل انتعاش فكري، فتميزت الحركة الفكرية المشرقية هي الأخرى باعتمادها على العلوم النقلية مثل الفقه والأدب والتاريخ وإهمال العلوم العقلية كالرياضيات والفيزياء والطب.

وبحكم تشابه المقومات أضحى التواصل هو مطمح الأقطار الإسلامية جميعا لأسباب دينية وغير خافية، من ضمنها المغرب الأقصى فأعتبر المغاربة أكثر توجها للمشرق، فمثل ركب الحجاج إحدى الأواصر التي عززت التبادل المغربي مع المشرق حيث كان الركب يتوجه سنويا وضمنه عدد من العلماء المرموقين إلى المشرق، فاعتبر الحج أهم وسيلة للتواصل الفكري، ولقد كان الحج أكبر وأعظم وأهم وسيلة قدمها الدين الإسلامي الحنيف للمسلمين أينما وحيثما كانوا، والحج أبرز رسالة موجهة إلينا لمعرفة الآخر واكتشافه ومعرفة ما لديه من ثقافات وحضارات، فقد عكس الركن الخامس بدوره تلك العلاقة الحميمة التي جمعت المغرب الأقصى بالمشرق، واتخذت صيغا مختلفة منها القراءة والإقراء، والمجالسات، وتبادل الإجازات والمناظرات والإنشادات وتبادل الكتب، وهي أشكال متباينة النمط لكنها حققت التواصل الثقافي، ومثل آليات للتفاعل الثقافي، وبحكم أن المغاربة كانوا عابرين للبلاد المشرقية حالين بها لآجال محددة فقد أثبتوا أن عبورهم لم يكن ليمر دون تخليد آثارهم، فدرسوا غيرهم وكتبوا الإجازات لأقرانهم من العلماء، وناظروا غيرهم، وقد عبرت ثقافة الحج عن فكر خلاق تجلى فيما قدمه العلماء والفقهاء للأمة الإسلامية، وكان للحجاج المغاربة عموما وللعلماء منهم خصوصا فوائد متعددة اكتسبوها من أدائهم لهذه الفريضة، فكانوا يحرصون أثناء هذه المناسبة على الإفادة والاستفادة.

ولم تقتصر العلاقات المغربية الثقافية مع المشرق على الأقطار التي يمر بها ركب الحج فقط، بل تعدت حدود ذلك، ولم ترتبط هذه الصلات بين الفضائيين بالحج فقط، حيث توافدت أفواج العلماء المغاربة على المشرق ومنهم من استقر به وكان لهم التأثير الكبير على الحياة العلمية هناك، ونقلوا ثقافات مشرقية إلى بلادهم مما عزز التلاقح الفكري، وقد أثمرت اللقاءات العلمية تعاونا علميا وفكريا عبر العصور بين علماء القطبين، كما كان للحكومة المغربية ممثلة في سلاطين الدولة العلوية أنفسهم علاقات ثقافية مع المشرق، سواء تلك التي ارتبطت بفعل الوفود السياسية خاصة تلك التي كانت تتصل بالدولة الثمانية باسم المغرب، أو بعض الوفود التي تقوم بمهمات في المشرق وتساهم في نقل

أفكار وثقافات، أو من خلال الرسائل المتبادلة واهتمامات السلاطين بالحركة الفكرية في المشرق، وأصداء مجالسهم العلمية السلطانية في العالمين العربي والإسلامي.

وعلى اثر ذلك انتقلت إلى بلاد المغرب العديد من المذاهب العقائدية والفقهية والسياسية المشرقية كتب لبعضها البقاء والاستمرار، بينما لم يتيسر ذلك للبعض الآخر، لأن المغاربة مارسوا نوعا من النقد والتمحيص في تلقي الأفكار الوافدة من المشرق، وحرصوا على تلقي الأصول الصحيحة منها، ومن بين هذه المذاهب الوافدة من المشرق الحركة الوهابية التي ظهرت مع محمد بن عبد الوهاب في الحجاز وانتقلت أفكارها إلى المغرب سواء عن طريق الحجاج، أو الاتصالات الرسمية، وكان لهذه الحركة تأثير على الأوساط المغربية في مقدمتها المغرب الأقصى حيث رأينا تأثر المولى سليمان بهذه الحركة وما ترتب عن ذلك من أفكار إصلاحية مقتبسة من مبادئ الفكر الوهابي، وقد جسدت هذه الحركة وأفكارها القادمة من المشرق التفاعل الحضاري والفكري والديني بين المشرق والمغرب الأقصى، والتأثير المتبادل بينهما.

مكنتنا تجربة دراسة التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب الأقصى في الفترة المدروسة من التعرف على مختلف جوانب التواصل الثقافي المغربي المشرقي الذي لم ينقطع وان اعترضته بعض الثغرات لأسباب مختلفة، واتخذ صيغا وأشكالا عديدة تمثلت فيما هو روحي وما هو فكري، واتخذ كل منهما مظاهر عديدة بل هناك أشكال تواصل أخرى تتجاوز مجال اهتمام هذه الأطروحة كالمجال التجاري والاجتماعي وغيرهما.

ولا زالت ملامح التواصل الثقافي العلمي بين علماء كل من الطرفين موجودة حتى الوقت الحاضر، ولا يزال المشرق يمثل مرجعية دينية وثقافية لأهل المغرب ولعل الثقافة تنجح في توحيد ما فرقته السياسة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المعاجم:

1. ابن منظور، لسان العرب المحيط، بيروت: دار الجيل، 1988م، ج1.

ثانيا: المصادر:

2. أحمد بن أبي يعقوب اسحاق، البلدان، بيروت (لبنان): دار الكتب العلمية.

3. الأفراني محمد الصغير، روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل الشريف، تر: عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، (ط2)، 1995م.

4. الأفراني محمد الصغير، نزهة الحادي في أخبار مولوك القرن الحادي، تح: عبد اللطيف الشاذلي، الدر البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، (ط1)، 1998م.

5. الجبرتي عبد الرحمن بن الحسن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تح: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1997، ج: 1، 2، 3، 4

6. الجكني محمد أمين بن محمد المختار الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، تح: سعود بن عبد العزيز العريفي، دار عالم الفوائد.

7. الحضيكي محمد بن أحمد ، طبقات الحضيكي، تح: أحمد بومزكو، الدار البيضاء (المغرب): مطبعة النجاح الجديدة، (ط1)، 2006م، ج1.

8. الحظيكي أبو عبد الله محمد بن أحمد، الرحلة الحجازية، تح: عبد العالي المدبر، الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع، (ط1)، 2011م.

9. الدرعي العباس أحمد بن محمد بن ناصر ، الرحلة الناصرية 1709. 1710م، تح: عبد الحفيظ ملوكي، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، (ط1)، 2011م، ج1.

10. الزياني أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم، البستان الظريف في أخبار دولة أولاد مولانا الشريف بن علي، تح: رشيد الزاوية، الرباط: مركز الدراسات والبحوث العلوية، ، (ط1).

11. الزياني أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، تح: عبد الكريم الفيلالي، الرباط، 1967م.

12. الزياني أبو القاسم بن احمد بن علي بن إبراهيم، جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر مولوك وأشياخ السلطان المولى سليمان، تح: عبد المجيد خيالي، بيروت: دار الكتب العلمية، (ط1)، 2003م.

13. ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد السلجلماسي، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تح: علي عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، (ط1)، 2008، ج 3.

14. ابن زيدان عبد الرحمن، الدرر الفاخرة بمآثر ملوك العلويين بفاس الزاهرة، الرباط: المطبعة الاقتصادية، 1992م.

15. الضعيف محمد بن عبد السلام الرباطي، التاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، تح: أحمد العمار، الرباط: دار المأثورات، (ط1)، 1986م.

16. العياشي أبو سالم، إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء، تح: محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1999م.

17. العياشي أبو سالم، اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر للقرن 11هـ ـ 17م، تح: نفيسة الذهبي، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (ط1)، 1996م.

18. العياشي أبو سالم، الرحلة العياشية 1661. 1663م، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، (ط1)، 2006م، ج1.

19. الفاسي عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير، معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب، تح: عبد المجيد خيالي، بيروت: دار الكتب العلمية، (ط1)، 2003م، ج1.

20. القادري أبي عبد الله محمد بن الطيب بن عبد السلام، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمد حجي وأحمد توفيق، الرباط: دار المغرب، 1997م، ج1.

21. المرادي الفضل محمد خليل بن علي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، بيروت (لبنان): دار البشائر الإسلامية، (ط3)، 1998م، ج 1، 4.

22. المكناسي محمد بن عبد الوهاب، رحلة المكناسي: إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785م، تح: محمد بوكبوط، أبوظبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، (ط1)، 2003م.

23. الناصري أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1997م، ج: 7، 8، 9.

ثالثا: المراجع:

24. أوغلي اكمل الدين إحسان، الأتراك في مصر وتراثهم الثقافي دراسة تحليلية وثبت ببليوغرافي لإرثهم المطبوع منذ عهد محمد علي، تر: صالح سعداوي، القاهرة: دار الشروق، 2011م.

25. الأخضر محمد، الحياة الأدبية في المغرب الأقصى على عهد الدولة العلوية (1075. 1311هـ/ 1664. 1894م)، الدار البيضاء (المغرب):دار الرشاد الحديثة، (ط1)، 1977م.

26. بوركبة السعيد، دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية، المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1996م، ج1.

27. البلغيثي الهاشمي آسيا، المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة، المملكة المغربية: مطبعة فضالة، 1996م، ج1.

28. بيومي محمد علي فهيم ، المغاربة في المدينة المنورة ابان القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر ميلادي، القاهرة: دار القاهرة، (ط1)، 2006م.

29. التازي عبد الهادي، جامع القرويين المسجد والجامع بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، الرباط: دار نشر المعرفة، (ط2)، 2000م، ج3.

30. الترغي عبد الله المرابط ، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة منهجيتها –تطورها– قيمتها العلمية، تطوان: منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، 1999م، (ط1).

31. جورجي زيدان، مصر العثمانية، تر: محمد حربي، القاهرة: دار الهلال

32. الجوهي خالد حسن، الحياة العلمية في الحرمين الشريفين في القرن العاشر هجري ـدراسة، جامعة الملك سعود، 2010م.

33. حجي محمد، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الرباط: المطبعة الوطنية، 1994م.

34. حجي محمد، موسوعة أعلام المغرب، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1996م، ج:1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8.

35. حركات إبراهيم، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، دار الرشاد الحديثة، (ط2)، 1994م.

36. حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء (المغرب): دار الرشاد الحديثة، (ط1)، 1979م، ج3.

37. حنا نيللي، ثقافة الطبقة الوسطى في مصر العثمانية القرن 16. 17م، تر: رؤوف عباس، مكتبة الأسرة والأعمال الفكرية، 2004م.

38. درويش مديحة أحمد ، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، جدة : دار الشروق، (ط1)، 1980م.

39. الدهيش عبد اللطيف، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، مكة المكرمة: مطبعة النهضة الحديثة، (ط1)، 1986م.

40. الروقى عايض بن حزام، حروب محمد علي في الشام وأثارها في شبه الجزيرة العربية 1247. 1255هـ/ 1831. 1839م، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1414هـ.

41. سنو عبد الرؤوف، النزاعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية 1877. 1881م: بلاد الشام – الحجاز– كردستان –ألبانيا، بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، (ط1)، 1998م.

42. سيمو بهيجة، الإصلاحات العسكرية بالمغرب 1846. 1912م، الرباط: المطبعة الملكية، 2000م.

43. الشابي مصطفى، الجيش المغربي في القرن التاسع عشر 1830. 1912م، مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، (ط2)، 2002م، ج1.

44. الشريف محمد بن جن بن عقيل موسى، المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية، جدة (المملكة العربية السعودية):دار الأندلس الخضراء ، . 2000م، ط1، مج 1.

45. شقور عبد السلام بن مختار، المناظرات والإنشادات في رحلات المغاربة الحجازية، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426هـ.

46. صديق محمد افرخاس ونادية صلاح محمد، رحلات المغاربة إلى المشرق ودورها في تعزيز التواصل الثقافي، دبي: دائرة الشؤون الإسلامية.

47. ضيف شوقي، عصر الدول والإمارات: الجزائر، المغرب، موريطانيا، السودان، القاهرة: دار المعارف، (ط1)، 2005م.

48. طقوش محمد سهيل، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، بيروت: دار النفائس، (ط2)، 2013م.

49. الطويل توفيق ، التصوف في مصر إبان العصر العثماني، مكتبة الآداب.

50. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517. 1798م) دارسة في تأثير الجالية المغربية من خلال وثائق المحاكم الشرعية، تونس: منشورات المجلة التاريخية المغربية، 1982م.

51. عثمان ناصر عبد الله، قبل أن يأتي الغرب الحركة العلمية في مصر في القرن السابع عشر، مصر: دار الكتب والوثائق القومية، (ط2)، 2012م.

52. العميري محمد قيدوم وآخرون، الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19م، وجدة: كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

53. الغنيمي عبد الفتاح، موسوعة المغرب العربي، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1994م، ج3.

54. الفيلالي عبد الكريم ، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، مطبعة شركة ناس للطباعة.

55. الكتاني عبد الحي بن عبد الكريم، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط2)، 1972م، ج: 1، 2.

56. كنون عبد الله، النبوغ المغربي للأدب العربي، (ط2)، ج1.

57. لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518. 1830م، دار سنجاق الدين للكتابة، 2009م.

58. منصور محمود، المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين 1782. 1822م، تر: محمد حبيدة، الدار البيضاء (المغرب)، المركز الثقافي المغربي.

59. المنوني محمد، تاريخ الوراقة المغربية: صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، الرباط: كلية العلوم والآداب الإنسانية، (ط1)، 1991م.

60. المنوني محمد، مظاهر يقظة المغرب الحديث، الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدراس، (ط2)، 1985م، ج1.

61. مولاي بلخميسي، الجزائر من خلال رحالات المغاربة في العهد العثماني، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (ط 2)، 1981م.

62. الناصري محمد مكي، الاحباس الإسلامية في المملكة المغربية، المملكة المغربية، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية

63. بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، بيروت (لبنان): دار الفكر المعاصر، (ط4)، 1984م.

64. نواب عواطف بنت محمد يوسف، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 11 و12هـ، الرياض (المملكة العربية السعودية): دار الملك عبد العزيز، 1429هـ.

65. الهريدي صلاح احمد علي، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر (1517–1592)، 1999

66. يونان لبيب رزق، محمد مزين، تاريخ العلاقات المغربية المصرية منذ مطلع العصور الحديثة حتى 1912م، الدار البيضاء: دار النشر المغربية، 1982م.

رابعا: المجلات والدوريات:

67. احادوش حبيبة، نظام وقف الكتب وآثارها في بعض مناهل الحياة الدينية والعلمية بالمغرب ضمن مجلة دعوة الحق، العدد 404 ، يناير 2013

68. بنين احمد شوقي، ظاهرة وقف الكتب في تاريخ الخزانة المغربية ، ضمن مجلة دعوة الحق، العدد 404 ، يناير 2013

69. جلاب حسن، الإجازات العلمية على عهد الدولة العلوية "إجازة الشيخ المرابط الدلائي لأبي علي اليوسي نموذجا"، ضمن مجلة دعوة الحق، العدد326، مارس 1997م.

70. طحطح خاليد فؤاد، الحركة الثقافية بمكة في مرآة بعض الرحالة المغاربة خلال القرن الثامن عشر، ضمن مجلة العربية، العدد 486، أفريل 2017م.

71. عافية عبد القادر، ملامح عن الحركة الفكرية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ضمن مجلة دعوة الحق، العدد 273.

72. فقيقي محمد الكبير، التواصل العلمي بين أعلام المغرب ومصر اثناء القرنين 17 .18م من خلال رحلات المغاربة الحجازية، ضمن مجلة الفسطاط التاريخية، الثلاثاء 23 جويلية 2013م.

73. الفيلالي الحاج ساسيوي، العلماء والسلطة بالمغرب الأقصى، ضمن مجلة كان التاريخية، العدد 15، مارس 2016.

74. الكتاني يوسف، جامعة القرويين ودورها في التواصل العلمي بين الشعبين المغربي والمصري، ضمن مجلة المناهل، العدد 32، ديسمبر 1990م الرباط: وزارة الشؤون الثقافية.

75. محفوظ محمد، في معنى التواصل الثقافي، ضمن جريدة الرياض، العدد 15023، أوت 2009م.

خامسا: الرسائل الجامعية

76. حسنة كمال، العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطان سليم الثالث ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2005-2006

77. دحام الحاج وبن شهرة زهرة، العلاقات السياسية بين الجزائر والدولة العلوية بالمغرب الأقصى (1061 . 1246 هـ/ 1650 . 1830م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة تيارت، 2015 . 2016م

78. فقيقي محمد الكبير الحركة الوهابية في كتابات المغاربة (1157-1364/1745-1945)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014-2015.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة .....أ

الفصل الأول: الأوضاع السياسية والثقافية بالمغرب الأقصى والمشرق خلال الفترة الحديثة

المبحث الأول: التطور السياسي للمغرب الأقصى منذ قيام الدولة العلوية إلى نهاية عهد المولى عبد الرحمن بن هشام 11

1. قيام الدولة العلوية مع المولى محمد وأخيه الرشيد 11

2.المولى اسماعيل واستكمال بناء الدولة 13

3.مرحلة الفوضى والاضطراب بالمغرب 14

4.الأوضاع الداخلية للمغرب في عهد المولى سليمان 16

5.الأوضاع الداخلية للمغرب في عهد المولى محمد بن عبد الرحمن بن هشام..... 19

المبحث الثاني: الحركة العلمية بالمغرب الأقصى منذ بداية العهد العلوي إلى منتصف القرن التاسع عشر 21

1.الحركة العلمية بالمغرب الأقصى مع بداية العهد العلوي 1650 . 1672م 21

2.الحركة العلمية بالمغرب على عهد المولى إسماعيل 22

3.الحركة العلمية بالمغرب في عهد المولى محمد بن عبد الله 24

4.الحركة العلمية بالمغرب في عهد المولى سليمان 26

5.التعليم بالمغرب في العهد العلوي 28

6.دور الوقف في الحياة الثقافية في العهد العلوي 31

المبحث الثالث: الحياة السياسية والثقافية بالمشرق العربي الإسلامي خلال الفترة الحديثة 35
1.الوضع السياسي بمصر خلال الفترة الحديثة 35
أ. الحملة الفرنسية على مصر وآثارها 36
2.الحياة الثقافية بمصر خلال الفترة الحديثة 38
أ.المؤسسات التعليمية في مصر 39
ب.الحياة العلمية بمصر في عهد محمد علي باشا 43
3.الوضع السياسي بالحجاز خلال الفترة الحديثة 45
4.الحركة العلمية بالحجاز خلال الفترة الحديثة..... 47
أ.التعليم بالحجاز خلال الفترة الحديثة 48

الفصل الثاني: الحج ودوره في تعزيز التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق خلال الفترة الحديثة

المبحث الأول: العلاقات الفكرية بين علماء المغرب والمشرق من خلال الحج 54
1.المجالسات العلمية بين العلماء المغاربة والعلماء المشارقة 54
2.القراءة والإقراء بين علماء المغرب والمشرق 62
3.الكتب والمراسلات المتبادلة بين علماء المغرب المشرق 64
المبحث الثاني: الإجازات العلمية المتبادلة بين علماء المغرب وعلماء المشرق 67
1.الإجازات المتبادلة بين علماء المغرب وعلماء مصر..... 67
2.الإجازات المتبادلة بين علماء المغرب وعلماء الحرمين 70
المبحث الثالث: المناظرات والقصائد الشعرية المتبادلة بين علماء المغرب والمشرق..... 75
1.المناظرات 75
2.تبادل القصائد الشعرية بين علماء المغرب ونظرائهم المشارقة 78

الفصل الثالث: مظاهر التبادل الثقافي بين المغرب والمشرق

المبحث الأول: العلماء المغاربة المجاورين ودورهم في الحياة العلمية بالمشرق 85

1.دور العلماء المغاربة في الحياة الثقافية بمصر 85

2.رواق المغاربة بالأزهر الشريف 90

3.دور العلماء المغاربة المجاورين بالحرمين الشريفين 92

4.الطرق الصوفية المغربية وتأثيرها بمصر 95

المبحث الثاني: السلاطين العلويين وعلاقاتهم الثقافية مع المشرق 96

المبحث الثالث: الحركة الوهابية وتأثيرها الثقافي الديني بالمغرب 103

1.علاقة السلطان محمد بن عبد الله بالوهابية 104

2.الدعوة الوهابية وصداها بالمغرب 106

3.علاقة المولى سليمان بالحركة الوهابية 107

الخاتمة 113

قائمة المصادر والمراجع 117

فهرس الموضوعات 126